الجمهوريه الجزائريـــه الديمقراطيـــــه الشعبيـــه
وزارة التــعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية الأداب و اللغات
قسم : اللغة و الأدب العربي

رحلة " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار"

للحسين الورثيلاني ـ قراءة أنثروبولوجية ـ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في الأدب العربي
تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبة :
- حياة بكور

إشراف الأستاذ:
د/ فوزية براهيمي

تاريخ المناقشة: 2019/07/06

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
نصر الدين شيحا	أستاذ مساعد قسم أ	رئيسا	جامعة 08ماي 1945م
فوزية براهيمي	أستاذ محاضر قسم ب	مشرفا	جامعة 08 ماي 1945م
نادية موات	أستاذ محاضر قسم أ	فاحصا	جامعة 08 ماي 1945م

السنة الجامعية:

1439-1440ه/ 2018-2019م

شكـــــر و تقديـــر

نحمد الله عز وجل على فيض عطائه و جزيل نعمه، ونشكره

شكر المعترف بمننه وآلائه، الذي وفّقنا لإنجاز هذا العمل وإتمامه

فله الحمد حتى يرضى، وله الحمد عند الرضى

وله الحمد بعد الرضى.

تراءى لنا أن كلمة شكر لا تؤدي الحاجة، فكل تعابير

المدح والثناء لا تفي حق مكانتكم، فأنتم تستحقون منا

أكبر تقدير واحترام.

إلى كل أصحاب الفضل علينا، إلى أساتذتنا الكرام بجامعة قالمة

ونخص بالذكر الأستاذة "فوزية براهيمي" التي كانت نبراسا

استضأنا بنور إرشاداتها وتوجيهاتها السديدة.

والشكر موصول لكل من ساعدنا من قريب أو من بعيد

في إتمام هذا العمل.

■

إهداء

- إلى من علّمني أنّ الحياة مثابرة وكفاح إلى:
- أبي وأمي الكريمين.
- سندي في الحياة أخواتي العزيزات.
- زملائي وزميلاتي.
- إلى من كان السند والعضد
- أساتذتي.
- نهدي الجميع ثمرة جهدنا.

حياة

مـــــــقدّمـــــــــة

مقدمة:

عَرَف الإنسان الرّحلة منذ عصور غابرة، ومارسها العرب منذ الجاهلية، لأسباب ومَقَاصِدَ مختلفة، منها الإقتصادية، الدينية، العلمية، السياسية والاجتماعية، فقد أُعْتُبِرَتْ من أهم الوسائل التي ساعدت في التعرّف على الآخر واكتساب ونشر العلوم المختلفة، لذلك كانت الرّحلة من بين الأجناس الأدبية الأكثر ثراءً وانفتاحًا.

ومنه فأدب الرّحلة لون من الألوان الأدبية، يصوّر فيه الرّحالة العديد من العناصر الثقافية من خلال ما عايشه من مظاهر الحياة، من عادات وتقاليد لمناطقَ مختلفة، مصورا أساليب عيشهم ومختلف منجزاتهم على مر العصور.

كان أدب الرّحلة وما يزال أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية، وما زاده ثراءً هي تلك العلاقة التي ربطته بعلم الأنثروبولوجيا؛ فهذا الأخير اهتم بدراسة مختلف الأنساق التي مَيَّزتْ المجتمعات والشعوب.

وعلى هذا الأساس، اِرْتَأَيْتُ أن أدرس رحلةً استكشافية قام بها الرّحالة الحُسَين الورثيلاني الموسومة بعنوان **"نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"** قراءة أنثروبولوجية.

ولعل أهم البواعث التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع هو ثراء هذا النوع من الأدب وتميّزه وكذلك الأهمية الكبرى التي حظِيت بها رحلة الورثيلاني، وقلة الدراسات حول الرّحلة الجزائرية على وجه الخصوص.

ومنه فهذه الدراسة تهدف للإجابة عن مجموعة من الأسئلة من بينها:

_ ما الفائدة من أدب الرّحلة؟

_ إلى أي مدى نجح الرَّحالة في توظيف الأبعاد الأنثروبولوجية في رحلته؟

_ ما هي أهم المضامين الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية التي اشتملت عليها رحلة الورثيلاني؟

من خلال هذه الأسئلة، استطعنا تحديد الهدف من هذه الدراسة، وهو الوقوف على فن الرّحلة، باعتبار أن الجزائريين كان لهم باعٌ كبير في هذا المجال، وقد عُرِفُوا بتعدد وثراء رحلاتهم.

_ اكتشاف المدن والبقاع التي صوّرها الرّحالة وأهم ما ميز الشعوب والمجتمعات في فترة معينة.

_ إبراز قيمة البحث الأنثروبولوجي في النص الرّحلي.

ولمعالجة هذه الإشكالية ووصولا لهذه الأهداف فقد عَمَدْتُ إلى تقسيم البحث إلى: مقدمة ثم مدخل، وفصلين، وخاتمة.

كان المدخل بعنوان :**"مفاهيم نظرية في علم الأنثروبولوجيا"** تعرضت فيه لمفهوم هذا العلم وفروعه وكذا علاقته بالأدب.

الفصل الأول بعنوان: **"الرِّحلة في الأدب الجزائري"** تناولت فيه مفهوم الرّحلة، أنواعها ثم أهميتها، وأخيرا الرّحلة في الأدب العربي عمومًا والأدب والجزائري خصوصًا.

الفصل الثاني بعنوان: **"قراءة أنثروبولوجية لرِّحلة الورثيلاني"**.

نظرا لطبيعة الموضوع، فقد حاولنا مقاربته بالاعتماد على آليات المنهج الأنثروبولوجي الذي يقوم على دراسة الإنسان في مختلف مجالات حياته، من عادات وتقاليد ودين وغيرها.

لقد اعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع، منها ما تعلق بعلم الأنثروبولوجيا ككتاب **مدخل إلى علم الانسان (الأنثروبولوجيا) لعيسى الشماس**، وكتاب **قصّة الأنثروبولوجيا لحسين فهيم** وغيرها، ومنها ما تعلق بأدب الرّحلة ككتاب **الرّحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري لسميرة أنساعد**، وكتاب **أدب الرّحلة في التراث العربي لفؤاد قنديل**.

في أثناء إنجاز هذا البحث واجهتنا صعوبات منها: ندرة الدراسات التي اهتمت بدراسة أدب الرّحلة، وخاصة من الناحية الأنثروبولوجية.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر للأستاذة المشرفة **"فوزية براهيمي"**، فلها فضل التوجيه والإشراف، ومتابعة هذا البحث خطوة خطوة.

مـــدخـــل: الأنـثـروبـــولـوجـــيا

أولا: مفـــــــــــهوم الأنثروبولوجـــــيا.

ثانيا: فـــــــــــروع الأنثروبولوجـــــيا.

أ_ الأنثروبولوجيا الطبيعية.

ب_ الأنثروبولوجيا الثقافية.

ج_ الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

ثالثا: نـــــــــشأة الأنثروبولوجـــــــيا.

رابعا: علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب.

مدخل:

أولا: مفهوم الأنثروبولوجيا:

مصطلح الأنثروبولوجيا هو مصطلح متداول منذ القديم، والمقصود به دراسة الإنسان لأن هذا الكائن الفريد كان ولا يزال مَوْضِعَ التأمل والدراسة من قِبَلِ كثيرٍ من العلوم الطبيعية والإنسانية على حدٍّ سواء، فمنذ قديم الزمان لاحظ الإنسان تلك الفروق والاختلافات في الملامح الجسمية، ولون البشرة، والعادات والتقاليد، وغيرها من مظاهر الحياة. وبناءً على هذا التساؤل تبلورت الدراسات وتطوّرت بنشأة فرع جديد من فروع المعرفة اصطلح عليه **علم الأنثروبولوجيا ANTHROPOLOGY.**

الأنثروبولوجيا هي مصطلح مقسّم إلى كلمتين ويشتق هذا المصطلح أصله اللغوي من اللاتينية **ANTHROPOLOGIE** المأخوذ من عبارة يونانية**ANTHROPOIOGOS** الذي يعني شطره الأوّل **ANTHROPOS** الكائن البشري، والشطر الثاني **LOGOS** علم. والأنثروبولوجيا بهذا المعنى يمكن ترجمتها بعلم الإنسان وتترجم غالبا بالعربية **"بعلم الأناسة"**.[1]

كتبت الباحثة الأنثروبولوجية الأمريكية الشهيرة **مارجريت ميد M.Med** تقول: «**نحن نصف الخصائص الإنسانية البيولوجية، والثقافية، للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن، ونحلّل الصفات البيولوجية والثقافية المحليّة كأنساق مترابطة ومتغيّرة، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطوّرة، كما نهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجيا، ونعنى أيضا ببحث الإدراك العقلي للإنسان، وابتكاراته ومعتقداته، ووسائل اتصالاته... وبصفة عامة فإن عمل الأنثروبولوجيين يوجه نحو القضايا العملية في مجالات الصحة والإدارة والتنمية الإقتصادية ومجالات الحياة الأخرى.**»[2]

يعبّر هذا النص عن أهم مجالات الأنثروبولوجيا في نظر الأنثروبولوجيين الأمريكيين والتي تختص بدراسة الإنسان من ناحيتين العضوية والثقافية.

إن المتتبع لمصطلح الأنثروبولوجيا يجد أن الأنثروبولوجيين قد تبنوا تعريفات كثيرة ومختلفة لكنها متماسكة مع بعضها بحيث تمسك بكل الإنجازات المادية والفكرية، أي

---

[1] _ رحال بوبريك، مدخل إلى الأنثروبولوجيا، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرّباط ،المغرب، د ط 2014، ص9.

[2] _ حسين فهيم، قصّة الأنثروبولوجيا، فصول في علم الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د ط 1986، ص13.

الدراسة الشاملة للإنسان أو الدراسة المقارنة للجنس البشري، وقد عُرّفت بأنها «**علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا**».[1]

عرّفها أحد الباحثين على أنها «**العلم الذي يُعْنَى بدراسة الإنسان من خلال مظهره البيولوجي، أي الأنثروبولوجيا الطبيعية، ومن خلال دراسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية**»[2]، إذن فهي دراسة الإنسان في شكله العام، وتحاول الولوج في مختلف جوانب حياته وبنيته الثقافية الإنسانية، ودراسة أساليب حياته و سلوكاته.

هناك اختلافٌ وتباينٌ في مفهوم الأنثروبولوجيا حسب المدارس واتجاهاتها، ولعلّ العالم الألماني **فريدريك روخ F.Rouch** أوّل من استخدم مصطلح الأنثروبولوجيا في كتابه **"الأنثروبولوجيا: أو نظرة في العقل البشري"** بمدلول مختلف عن المفاهيم السابقة، وقد عرّفها بأنها «**الدراسة العميقة للمؤثرات الخارجية التي يخضع لها العقل البشري، وفهم التغيرات التي تتم فيه بمقتضاها.**» [3]

لقد استخدم هذا المصطلح كمفهوم فلسفي يتصل بدراسة النفس الإنسانية، ثم اصبح يركز على دراسة السلالات البشرية.

عرّف عالم الأنثروبولوجيا البريطاني **ادوارد تايلور E.Tylor** الأنثروبولوجيا محددا مجالها بقوله: «**الدراسة البيو ثقافية المقارنة للإنسان**»[4]، فهي تحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للإنسان، وما يتلقاه من تعليم وتنشئة اجتماعية.

إذا ، فمهما اختلفت وتضاربت الآراء في تحديد ماهية الأنثروبولوجيا إلّا أنها تتفق في كون الإنسان دون غيره من الكائنات هو محل اهتمامها، وشغلها الشاغل، ومادة بحثها.

ثانيا: فروع الأنثروبولوجيا:

إن للأنثروبولوجيا فروع كثيرة، تختلف باختلاف الموضوعات التي تعالجها، وقد تطورت هذه الموضوعات بتطوّر المجالات المعرفية التي حاولت الأنثروبولوجيا البحث فيها، ولهذا وجب أن نتساءل: ماهي الموضوعات التي تناولتها الأنثروبولوجيا بالدراسة والبحث؟ وماهي فروعها ؟:

---

[1] _ شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا (إنجليزي عربي)، جامعة الكويت، ط1، 1981، ص 7.

[2] _ مارك أوجيه جان، وبول كولاين، الأنثروبولوجيا، ترجمة: جورج كنوزة، دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص7.

[3] _ علاء جواد كاظم، الصورة حكاية أنثروبولوجية، معاينات مونوغرافية في "الأنثروبولوجيا المدنية" دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص26.

[4] _ المرجع السابق، ص26.

أ-الأنثروبولوجيا العضوية أو الفيزيقية:

هذا الفرع من الأنثروبولوجيا **"يحاول أن يبحث في أصل الإنسان"**[1]، وتهتم بالجانب الطبيعي والبيولوجي (الفيزيقي) للإنسان، وتدرس البناء التطوري له، وتطور الإنسان وسلوكه والخصائص البيولوجية التي يتباين فيها البشر القدامى والمحدثين، فهي تدرس تطور النوع البشري، وعلم الوراثة الجماعي، وقد يدعى هذا الحقل أحيانا بعلم الإنسان الحيوي. وترتبط بعدد من العلوم الطبيعية مثل: الأحياء، التشريح والوراثة.

ب_ الأنثروبولوجيا الثقافية:

هي ميدان يركز من خلال الوصف والتحليل على الثقافة الإنسانية برُمتها، «**فهي تركز على ثقافة الشعوب، وخصائصها، وعناصرها، وكيف تؤثر وتتأثر، وما هو دور الثقافة في بناء شخصية الإنسان...**»[2] ، فهذا المجال يدرس الثقافة الإنسانية عبر مختلف العصور «**فالأنثروبولوجيا الثقافية لم تعد حكرا على الأقدمين والماضي السحيق فقط، بل صار هذا المفهوم اليوم أكثر صدقا، فقد حقق الأنثروبولوجيون اهتماما متواصلا بالماضي، ومع ذلك فإن الحاضر أيضا يفرض اهتمامهم بما في البلاد.**» [3]

نستخلص من هذا القول، أن الدراسات الأنثروبولوجية الثقافية تهتم بحاضر الإنسان وماضيه، وهي تخصص ضارب بجذوره في عمق التاريخ.

إن مجال الأنثروبولوجيا الثقافية واسع، يشمل «**دراسة مخترعات الشعوب البدائية وأدواتها وأجهزتها وأسلحتها، وطرز مساكنها، وأنواع الألبسة، والزينة التي تستعملها وفنونها وآدابها وقصصها وخرافاتها، فهي إذن تدرس الإنتاج الروحي والمادي للشعب المدروس.. كما تدرس التطور الحضاري والتغير الاجتماعي في تلك الشعوب.**» [4]

ومنه، فهذا القول يوجز كل ما تهتم به الدراسات الأنثروبولوجية الثقافية، فهي كما ورد في القول ذات مجال واسع فهي تخصص مُلِمٌ.

---

[1] _ مصطفى تيلون، مدخل عام في الأنثروبولوجيا، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص30.

[2] _ محاضرات في انثروبولوجيا التربية http//kenanaonline.com/files/0070/70051/

[3] _ بيرتي ج بيلتون دراسة الأنثروبولوجيا المفهوم والتاريخ، تر: كاظم سعد الدين، بيت الحكمة، بغداد ط 1، 2010، ص11.

[4] _ أبو بكر باقادر، حسن رشيق، الأنثروبولوجيا في الوطن العربي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1 2012، ص15.

ج_ الأنثروبولوجيا الاجتماعية:

إن التعريف الكلاسيكي للأنثروبولوجيا الاجتماعية أنها « **تدرس مجموع البناء الاجتماعي لأي جماعة أو مجتمع**»[1]، بما يتضمنه هذا المجتمع من علاقات وجماعات وتنظيمات ومن هنا تتضح علاقة الأنثروبولوجيا الاجتماعية بعلم الاجتماع، « **فالعالم الأنثروبولوجي يجمع مواده الأوّليّة في مجتمعات بدائية أو غير بدائية**»[2]، ويحاول أن يراقب قدر الإمكان طرق حياة الناس الذين يدرسهم.

هذا الفرع من الأنثروبولوجيا يهتم بدراسة الثقافة الإنسانية والتراث الاجتماعي من عادات وتقاليد يكتسبها الإنسان بوصفه جزءا من الكل، كما يُعنى كذلك بدراسة أساليب الإنسان وسلوكاته النابعة عن ثقافته، كما تركز على الإتصال الحضاري بين مجتمع ما ومن يتصل به من مجتمعات أخرى، وما يأخذه ويقتبسه منهم.

ومنه،« **فالأنثروبولوجيا الاجتماعية مرادفة للأنثروبولوجيا الثقافية**»[3]، فالباحث الأنثروبولوجي يدرس بدوره النظم الاجتماعية، كالنظام الأسري، والتربوي، والإقتصادي والسياسي وكذلك دراسة الأمثال الشعبية، والأفكار والمعتقدات والمعارف كالطب الشعبي وغيرها من الظواهر التي تجمع فيما بينها الجانب الاجتماعي والثقافي.

وبناءً على ما سبق نستنتج أن مصطلح الأنثروبولوجيا مصطلح شامل، يدرس الإنسان من جوانب مختلفة بدءًا من كونه عضوا في المملكة الحيوانية، وصولا لكونه عضوا في المجتمع، ومهما اختلفت المفاهيم حول هذا المصطلح، فإن موضوعه وشغله الشاغل الإنسان.

ثالثا: نشأة الأنثروبولوجيا:

الأنثروبولوجيا هي أحدث العلوم الاجتماعية على الإطلاق،«**تهتم بدراسة الإنسان ومعرفته معرفة كليّة وشمولية**»[4]، تدرسه من حيث قيّمه الجمالية، الدينية، الأخلاقية وغيرها والمتتبع لهذا العلم يجده قد مرّ في نشأته بجملة من العصور كان أوّلها: العصر القديم العصور الوسطى، ثم عصر النهضة.

يُجمع معظم علماء الأنثروبولوجيا على أن الرِّحلة التي قام بها المصريون القدماء عام 1493قبل الميلاد إلى بلاد بونت (الصومال حاليا) كان هدفها التبادل التجاري، هي أقدم

---

[1] _ محمد الجوهري، علياء شكري، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، القاهرة، مصر، د ط، 2007، ص29.

[2] _ بيرتي ج بيلتو، دراسة الأنثروبولوجيا المفهوم والتاريخ، ص66.

[3] _ مصطفى تيلون، مدخل عام في الأنثروبولوجيا، ص24.

[4] _ المرجع السابق ، ص19.

الرحلات آنذاك، أسفرت عن اتصال المصريين القدماء بسكان إفريقيا.

يعدّ المؤرّخ **هردوتس** الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، أول باحث أنثروبولوجي في التاريخ، ونتيجة حُبّه للسفر والترحال فقد زار شعوبا عديدة وخاصة مصر، وقد جمع معلومات عن حوالي خمسين شعبا، صوّر فيها عاداتهم ونوّه لفكرة الإختلاف والتنوّع فيما بينها، لذلك اعتبره علماء الأنثروبولوجيا الباحث الأنثروبولوجي الأوّل في التاريخ.[1]

لقد قدّم معلومات عن الشعوب التي زارها وحدّد ملامحهم الجسمية وأصولهم السلالية، وهو القائل بأن**" مصر هبة النيل"**[2]، وقام بإجراء بعض المقارنات بين العادات الإغريقية والليبية في اللّباس والدروع والتماثيل، مستندا في دراسته لثقافة الشعوب وحياتهم على أساسيات المنهج الإثنوجرافي الذي اصطلح عليه في عصرنا الحاضر باسم **علم الشعوب.**

إلى جانب هردوتس نجد الفيلسوف **أرسطو** الذي وضع أوليات الفكر التطوري للكائنات الحية عن طريق تأملاته في التركيبة البيولوجية وتطورها. ومنه فالفلاسفة اليونانيين أخذوا من الحضارات التي سبقتهم، فقد امتزجت فلسفتهم بالحضارة المصرية القديمة التي أسفرت عمّا يعرف باسم الحضارة الهيلينية التي سادت في القرون الثلاثة السابقة للميلاد.[3]

وإذا انتقلنا إلى عصر الإمبراطورية الرومانية، نجد أن الرومانيين قد تابعوا ما طرحه اليونان فيما يخص طبيعة المجتمعات والإختلافات والفروقات، فقد وجّه الرومانيون دراستهم للواقع الملموس نبذوا كل ماله علاقة بالتجريد، فقد ضمّن **كاروس لوكرتيوس K.Lecrtius** أشعاره بعض الأفكار الاجتماعية، **" فتحدّث عن الإنسان الأوّل والعقد الاجتماعي ونشأة اللغة وغيرها... إلى جانب مناقشة العادات والتقاليد والفنون والأزياء والموسيقى".**[4]

ومنه، نلاحظ أن اليونانيون قد اختلفوا عن الرومان في الإتجاه، حيث كان اتجاه اليونانيين فلسفي، في حين نجد الرومان قد انصب اهتمامهم على الواقع، إلاّ أن كلاهما قد ربط بين السلالات البشرية وبين إمكانية التقدّم والحركة الحضارية، **"ووجدوا في أنفسهم امتياز وأفضلية على بقية الشعوب"** .[5]

---

[1] _ عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد العرب، دمشق، سوريا، دط، 2004، ص19.

[2] _ المرجع نفسه، ص ن.

[3] _ المرجع السابق، ص20.

[4] _ حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا (فصول في تاريخ الإنسان)، ص47.

[5] _ عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص21.

لقد برز العرب بدورهم في البحث عن أصول الإنسان، وخاصة مع بوادر الحضارة الإسلامية، حيث كان للفتوحات الإسلامية الدور البارز في الإهتمام بدراسة أحوال الناس في البلدان المفتوحة، فصنّف العرب مجموعة من المعاجم وخاصة الجغرافية منها: كمعجم "البلدان" **لياقوت الحموي**، ومعجم "مسالك الأمصار" **لابن فضل الله العمري**، و"نهاية الأرب في فنون العرب" لـ **النويري**.[1] واهتموا كذلك بفنون العمران ودراسة الشعوب والثقافات.

كما كان لرّحالات **ابن بطوطة** التي وُسمت بالطابع الأنثروبولوجي، الفضل في التعريف بالشعوب ووصف حياتهم اليومية وشخصياتهم وأنماط عيشهم وسلوكاتهم وتقاليدهم، وقد تناول بالتحديد أهل السودان أنموذجا فمن «**أفعالهم الحسنة قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه**». [2]

إلى جانب **ابن بطوطة** نجد **ابن خلدون** وكتابه "العبر ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، فقد ضمّنه مقدّمة سجّل فيها شعوب شمال إفريقيا وتناول عاداتهم وتقاليدهم، **" فقد شكلت موضوعات هذه المقدّمة ــ فيما بعد-اهتماما رئيسيا في الدراسات الأنثروبولوجية."**[3]

ومنه نستنتج أن الفلاسفة والمفكّرين قد ساهموا بجهودهم _خلال العصور الوسطى_ في معالجة الظواهر الاجتماعية ولاسيما التنوّع الثقافي والحضاري بين الشعوب، فقد درسوا خصائص ثقافةٍ وحضارةٍ بعينها وقارنوها مع الثقافات الأخرى.

ننتقل بعد هذه الحقبة إلى عصر النهضة، حيث أجمع المؤرّخون أن هذا العصر بدأ من القرن الرابع عشر ميلادي، حيث أطلق الحكام الأوروبيون سلسلة من الرّحلات والأسفار التي غذّت خيالاتهم بأوصاف حيوية لأماكن لم يكونوا مدركين لوجودها.[4] ولعل أهم رحلة استكشافية في علم الأنثروبولوجيا هي التي قام بها **كريستوف كولمبوس k.kolombus** إلى القارة الأمريكية، فهذه الاكتشافات لم تكن جغرافية فحسب بل كانت اجتماعية عرّفت بسكان هذه الأرض.

لقد تميّز عصر النهضة بظهور اتجاه جديد لدراسة الإنسان، **"عُرِفَ بالمذهب الإنساني العلمي، يدرس ماضي الإنسان من أجل فهم حاضره، وذلك وفق المراحل التاريخية**

---

[1] _ المرجع السابق، ص24.

[2] _ أبو عبد الله ابن محمد اللاواتي ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص703.

[3] _ عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص25.

[4] _ توماس هيلانداريكسن وفين سيفرت نيلسن، تاريخ الأنثروبولوجيا، تر: عبده الديس، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2014، ص19.

التطوّرية للإنسان".[5] وقد تجلى هذا الاتجاه في أعمال بعض علماء القرن السابع عشر أمثال **فرانسيس بيكون F.Bikon**، **رينيه ديكارت R.Decarte** وغيرهم، حيث تغيّرت النظرة للإنسان وأصبح يعتبر ظاهرة طبيعية. أما بالنسبة للدراسات الإثنوجرافية* والدراسات الإثنولوجية* فتمت أعمال كثيرة لعديد من العلماء.

ومنه، يمكن القول: أن الفكر الأنثروبولوجي الذي اجتاح أوروبا في عصر التنوير والذي تبلور في كتابات العديد من الباحثين، قد شكّل ارهاصات وملامح أولى لعلم الأنثروبولوجيا الذي أصبح علما مستقلا بذاته مع بدايات القرن العشرين.

رابعا: علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب:

الأنثروبولوجيا هي ذلك العلم الذي يدرس الإنسان في جميع مجالات الحياة، حتى سمي هذا المصطلح بعلم الإنسان، يدرسه من حيث هو كائن حي، في عاداته وتقاليده، وكذلك من حيث ثقافته ولغته وأدبه، ومنه «**فالأنثروبولوجيا كما هي علم الإنسان فهي كذلك ممارسة كتابية سردية**»[2].

إن كانت اللغة على ارتباطها الوثيق بالأنثروبولوجيا يتعلمها الأنثروبولوجي لكونها وسيلة لفهم الثقافة التي تتمثل في الإبداع الأدبي والفني والفكري، الذي يميّز مجتمع عن غيره فالأدب بنوعيه الشفوي والكتابي جزء من الإبداع الأدبي، ومنه فالأنثروبولوجيا ترتبط بالأدب فعن طريقه يتعرف الأنثروبولوجي على عادات وتقاليد وثقافة المجتمع المدروس ولأن اللغة عنصر من عناصر التعبير ، فهي تعين الشعوب والمجتمعات على التواصل فيما بينها لهذا أصبحت «**نتيجة من نتائج الثقافة: اللغة المستعملة في مجتمع ما تعبّر عن ثقافة السكان عامة**»[3] فالفرد يكتسب ثقافة جماعته بواسطة اللغة المنتجة للنص الأدبي الذي يرتبط بالسياق الذي أنتجه، وهذا ما جعل الأنثروبولوجي يرى أن الأديب يسعى لمعرفة العالم والآخرين.

ومن هنا تتضح علاقة الأنثروبولوجي بالأديب، ولكن هذه العلاقة تتيح الكثير من الفروقات والاختلافات في كلا التخصصين، فالأنثروبولوجيا ذات وظيفة تقريرية لا تبتغي «**لذة النص، في حين النصوص الإبداعية الأدبية ذات وظيفة جمالية، شعرية، أي أن لذة النص هي أولى أولويات قصدية الكاتب الأدبي ولكن نعود لنقول أن الأدب والأنثروبولوجيا**

[1] _ عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص28.

* _ الاثنوجرافية: دراسة أسلوب الحياة والعادات والتقاليد.

* _ الإثنولوجية: دراسة مقارنة لأساليب الحياة للوصول إلى نظرية النظم الاجتماعية.

[2] _ عياد أبلال، أنثروبولوجيا الأدب، دراسة أنثروبولوجية للسرد العربي، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص96.

[3] _ كلود ليفي ستراوس، الأنثروبولوجيا البنوية، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، د ط، 1977، ص90.

تخصصان يكمل الواحد منها الآخر، فالفعل الأدبي يحمل علامة البيئة الإنسانية وثقافتها ومجموع الأعمال المنجزة في المساحة الثقافية أو في الآداب ككل يمكن أن يشكّل ميدانا للبحث الأنثروبولوجي،..» [1]

ومنه فالعمل الأدبي هو علامة ثقافية، والأدب هو مجال أساسي لمعرفة الجانب الاجتماعي «**فهو قبل كل شيء أشبه بمتحف يعرض عادات الناس وأزياءهم، فهو مصدر مهم من مصادر تاريخ الحضارة، فهو مرآة للحياة ومحاكاة لها**». [2]، فالأعمال السردية الأدبية تشتمل على عناصر تاريخية، نفسية ، جغرافية وأخرى اجتماعية.

كان اهتمام الأنثروبولوجيين ينصب على الأدب الشفاهي، الذي يعتمد على الكلمات المنطوقة ذات الأسلوب المحكم والشكل الفني، يتضمن الأسطورة ،الحكاية الشعبية، المثل الشعبي ،الشعر، الفن والخطابة، كما أن الأنثروبولوجي أثناء كتابته لسير الأشخاص وتاريخ حياتهم فهو يتخذ النمط القصصي في كتاباته، وذلك من خلال تقديمه لحياة الشخصية المدروسة ونظرة التاريخ الاجتماعي لها، والمجتمع الذي نشأت فيه هذه الشخصية، فتظهر وكأنها قصة.

ولعل أدب الرِّحلات يحتوي على عناصر أدبية تسير جنبا إلى جنب مع المعلومات الإثنوغرافية، باعتمادها على أساليب الخيال الفني والابتعاد عن الأسلوب الأكاديمي الجاف ويتنوّع كذلك الأسلوب فيها بين السرد والحوار والوصف، وكذلك صلة أدب الرحلات بالإثنوغرافيا، حيث نجد «**الرّحالة كاثنوغرافيين والإثنوغرافيين كرّحالة**». [3]

كما يقترن المسرح وفن التمثيل والأداء بالأنثروبولوجيا، فالتمثيل ظاهرة مارسها الإنسان البدائي القديم والمتحضّر، ما خلق نوعا من الرواسب القديمة في فن المسرح والتمثيل، وهذا ما تهتم به الأنثروبولوجيا فهي تدرس الإنسان ومنجزاته على مر العصور.

لقد كان التأثر واضحا ومتبادلا بين الأنواع الأدبية والدراسات الأنثروبولوجية ، فالعمل الأنثروبولوجي الجيّد إنما هو بمثابة العمل الأدبي الجيّد، علاوة على ذلك فأغلب الأنثروبولوجيون هم رجال أدب، مثلا **كلود ليفي ستراوس** الذي كانت له محاولات في الكتابة الروائية فضلا عن كونه باحثا أنثروبولوجيا.

ومنه فقد «**اعتمد بعض الأنثروبولوجيون على نظرية النقد الأدبي في تحليل الشعائر والدين، وتذوق ملامح الأداء الثقافي في سياقات اثنوغرافية مختلفة.**» [4]

---

[1] _ عياد أبلال، أنثروبولوجيا الأدب، دراسة أنثروبولوجية للسرد العربي، ص104.

[2] _ سندس محمد عباس، أنثروبولوجيا الأدب، دراسة لقصة (أنا الذي أرى...وثائق) للقاص محسن الرملي مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، العراق ،عدد1جانفي 2016، ص7.

[3] _ حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص43.

[4] _ سندس محمد عباس، أنثروبولوجيا الأدب دراسة لقصة (أنا الذي أرى...وثائق)، ص9.

ونتيجة للتداخل بين الأنثروبولوجيا والأدب، ظهر فرع من الدراسات يسمى بأنثروبولوجيا الأدب، يبحث في الأنثروبولوجيا منذ نشأتها، وذلك عن طريق ما أبدعته المجتمعات البدائية من خطاب، كلام، فنون، غناء، وغيرها.

وأخيرا، نستنتج أن العلاقة بين الأنثروبولوجيا والأدب هي علاقة تأثير متبادل في المناهج والأفكار، فالأدب يشكل مادة وموضوعا للأنثروبولوجيا، بدءا من الحكاية الشعبية والمسرح وصولا إلى الرواية والقصة والشعر.

الفصل الأول: الرّحـــلة في الأدب الجزائـــري

أولا: مفـــــــــــــــهوم الرّحـــــــــــــــلة:

أ_ في اللغة.

ب_ في القرآن الكريم.

ج_ في الاصطلاح.

ثانيا: أنـــــــــــــــواع الرّحـــــــــلات:

أ_ الرّحلة العلمية.

ب_ الرّحلة الدينية.

ج_ الرّحلة الاقتصادية.

د_ الرّحلة الرسمية.

ثالثا: أهمية أدب الـــــرّحـــــــــــــــــــــــــلات.

رابعا: الرّحـــــــــــلة في الأدب العربـــي.

خامسا: الرّحـــــــلة في الأدب الجزائري.

أولا: حول مفهوم الرّحلة:

أ_ التعريف اللغوي:

لقد حظيت مادة "رحل" بشرح واف في العديد من المعاجم العربية، فقد جاء في معجم لسان العرب لابن منظور: «**رَحَلَ الرَجُلُ إذَا سَارَ، وأرْحَلْتُهُ أنا ورجُلٌ رَحُولٌ، وقومٌ رُحَّلٌ أي يَرْتَحِلُونَ كثيرًا، ورجلٌ رَحَّالٌ: عالِمٌ بِذَلِكَ ومُجِيدٌ لهُ، والتَّرَحُلُ والإرْتِحَال: الانتقال، وهو الرِّحلة والرُّحْلَة، والرِّحلة اسم للإرْتِحَالِ للمسير، الرُّحلة بالضم، الوجه الذي تأخذ فيه وتريده.**»[1].

إن لفظة رِّحلة تطلق على عدة معاني، فقد جاءت بمعنى السير والإنتقال والوِجْهَة أو المقصد الذي يُراد السفر إليه، لأن مشتقات مادة "رحل" كثيرة ومتنوّعة وتدل كلها على الحركة لأن الرّحلة في الحقيقة ما هي إلاّ حركة وانتقال.

وفي معجم الوسيط: «**رَحَلَ عَنِ المَكَانِ، رَحْلاً، ورَحِيلاً، وتَرَحُلاً، ورِّحْلَةً: سار ومضى الرَّحَالَة الكثير الرِّحلة، الرُّحْلُ، العرب الرُّحَلْ: الرَّحالُ، الرِّحلة، الإرْتِحَال. (ج) رحل، وفي التنزيل العزيز:(رِحلَةَ الشِّتَاءِ والصَّيف). الرَّحُولُ: كثيرُ الإرْتِحَالِ.**»[2]

إذن، فمعاجم اللغة العربية تجمع على أن الرّحلة هي الإنتقال من مكان لآخر، لأن الحركة والتنقل من مقتضيات الحياة وطبيعة البشر.

ب_ الرّحلة في القرآن الكريم:

تبدو عناية ديننا الحنيف بالرّحلة من خلال وجود ذكرها لفظا، أو معنى مرات عدة في القرآن الكريم، والحديث الشريف، فلفظة "الرّحلة" وردت مرة واحدة في الكتاب المحكم في سورة قريش، التي يقول فيها الله عز وجل:(**لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ إِلَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**).[3]

---

[1] _ ابن منظور، لسان العرب، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة الأساتذة المختصين، دار الحديث، القاهرة، مصر، د ط، 2003، مادة (ر ح ل)، ص99_100.

[2] _ إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات وآخرون، الوسيط،ج1، دار الدعوة، القاهرة، مصر، د ط، 1972، ص380_381.

[3] _ سورة قريش، الآية :1_4.

ومن هنا ارتبطت الرّحلة بعادة أهل مكة في القيام برحلتي الشتاء والصيف، لغرض اقتصادي حيوي وهو التجارة.

جاءت لفظة "رَحْلِ" في القرآن الكريم، بمعنى البعير، وهي مرادفة للراحلة في قوله تعالى **(فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجِهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا العِير إِنكم لسَارِقُونَ).**

لقد تنوّعت المفردات الدّالة على نشاط الترحال في القرآن الكريم، وكان منها: الظعن الاسراء ،السفر، الحج، الهجرة، السير، فوردت لفظة "الظعن" مرة واحدة في قوله تعالى **(واللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَومَ إِقَامَتكُم وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ)**.[1] وقد ظهر معنى السير والتنقل بغرض التدبر في آيات الله وخلقه، في قوله تعالى:

(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فتَكُونَ لَهُم قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا).[2] وكذلك قوله تعالى:(**هُوَ الَذِي جعَلَ لكُمْ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَإِلَيْهِ النُشُورُ)**.[3]

أما إذا عرجنا إلى السنة النبوية نجد الرسول صلى اللّه عليه وسلّم قد شجّع على الرّحلة في طلب العلم، فقال: «**من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهّل الله له طريقا إلى الجنّة**».[4]

نخلص في الأخير من خلال عرضنا لمفهوم الرّحلة في القرآن الكريم والسنة، إلى أن هذا النشاط قد اقترن بدواعٍ نفعية كثيرة: مثل التجارة، والبحث عن سبل آمنة للعيش، أو التأمل والتدبر في آيات الله، وكذلك لأداء فريضة الحج، وطلب العلم، والجهاد في سبيل الله ونصرة دينه، وإعلاء كلمة الحق.

ج_ الرّحلة اصطلاحا:

---

[1] _ سورة النحل، الآية:80.
[2] _ سورة الحج، الآية :96.
[3] _ سورة الملك، الآية :15.
[4] _ سميرة أنساعد، الرحلة إلى الشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى، الجزائر، د ط، 2009، ص19.

إن الحديث عن مصطلح الرّحلة معناه الحديث عن أدب الرّحلة، لذلك ارتأيت أن أعرّج على بعض التعريفات الموجزة لمصطلح الرّحلة قبل التطرق للحديث عن أدب الرّحلة، فقد عرّفها الإمام الغزالي «**بأنها نوع من مخالطة مع زيادة تعب ومشقة**»[1]، فهي في نظره احتكاك بالآخر، يصحبه جهد وعناء جرّاء الإنتقال، فهي فن من الفنون الشائعة في معظم بلدان العالم، فهي إذن فعل طبيعي عند الإنسان، يصحبه عنصر الحركة، فهذه الأخيرة «**هي روح الحياة وسمة أساسية في التركيب الجسدي والنفسي للإنسان**»[2]، لأن المعروف على الإنسان منذ ولادته حتى وفاته وهو في رحلات دائمة.

إذن، فالرّحلة هي نوع من الحركة تنتج عنها مخالطة الناس والشعوب، ويتمخض عن ذلك تلاقح الثقافات والحضارات الإنسانية، فلها قيم وفوائد ومنافع، وفي ذلك قول أحد الرّحالة «**ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نَمِيَ إليه من أخبار عن إقليمه كمن قسّم عمره على قطع الأقطار، ووزع أيّامه بين تقاذف الأسفار، واستخراج كل دقيق من معدنه، وإثارة كل نفيس من مكمنه**»[3].

ففي هذا القول نجد ضرورة ملّحة على الأخذ والنهل من منابع العلم وعدم الإكتفاء بالقراءة والسماع فقط، بل خوض غمار التجارب للوصول إلى أصل الحقائق. ومنه «**فالرّحلة والسفر تعليم للصغير والكبير**»[4]، حيث يؤكد ابن خلدون في مقدّمته على أهميّة الرّحلات حيث يقول: «**الرّحلة لابد منها في طلب العلم ،لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرّجال.**»[5]

---

[1] _ أحمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين ،ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1986 ص273.

[2] _ فؤاد قنديل، أدب الرّحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 2002 ص17.

[3] _ سميرة أنساعد، الرّحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور، ص21.

[4] _ المرجع نفسه، ص22.

[5] _ عبد الرحمن ابن خلدون، المقدّمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، 2004 ص560.

في قوله إشارة لدور الرّحلة في طلب العلم. ومنه نستنتج أن الرّحلة هي «**انتقال من مكان لآخر لغرض تحقيق أهداف مادية كانت أو معنوية**»[1]. لأن الحياة حركة وانتقال وسعي.

أما إذا تطرّقنا لمصطلح أدب الرّحلة، فمن الصعوبة بمكان القبض على مفهوم واحد لهذا المصطلح لأنه مُلّم بموضوعين متشعبين "الأدب والرّحلة"، وتداخل هذا الأدب مع خطابات أخرى كالجغرافيا، التاريخ، التصوّف، السير الذاتية، الكرامات ،الشعر وغيرها، وهذا كله أدى إلى «**صعوبة القبض على تعريف يجمع في حدّه زخم الخصوصيات والتنويعات في النصوص الرّحلية العربية.**»[2]

إذن فأدب الرّحلة هو تلك الآثار التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلدان مختلفة، ويقوم بوصف ما يراه من عادات وسلوكاتٍ وأخلاق، فهو فن تسجيلي يدوّن فيه الرّحالة بكل دقة ما تقع عليه عيناه، شرط أن يتقيّد بعنصر «**الواقعية، الدقة، الصدق و جمال الأسلوب، وأن يكون كاتب الرّحلات رحالا بطبعه، وأن يكتب بأسلوب يعكس روح الرّحلة والرغبة الشديدة في القيام بها.**»[3]

ومنه، فإن النص الرّحلي يسجّل مشاهدات الرّحالة فتتحوّل بذلك الرّحلة من شيء مادي معاش إلى نص أساسه التجربة والمغامرة.

من خلال هذه التعريفات الموجزة عن أدب الرّحلة يمكن القول أنه فن نثري، وظاهرة أدبية

تتداخل فيها عناصر أدبية وخارج أدبية، يقوم على مجموعة أسس ،فهو يقوم على رّحلة _أو

رّحلات_ واقعية في زمان ومكان محددين، وأن الوصف يجب أن يوازي بين شخص

الرّحال من جهة والرّحلة _كموضوع_ من ناحية أخرى، » **فهو فن قائم بذاته له أصوله**

---

[1] _ عبد الجليل شقرون، نخلة اللبيب بأخبار الرّحلة إلى الحبيب لابن عمار أبي العباس سيدي أحمد، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تلمسان، الجزائر، 2017، ص 13.

[2] _ شعيب حليفي، الرّحلة في الأدب العربي (التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيّل)، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص80.

[3] _ سميرة أنساعد، الرّحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص32.

وقواعده، التي تتيح له قدرا كبيرا من المرونة والقدرة على التطوّر والتلوّن حسب مقتضى

كل فرد أو عصر أو بيئة. «[1]

إذن ، نستنتج أن أدب الرّحلة هو فن نثري، وهو شكل نصي مفتوح يجمع بين أغراض

متعددة، يستفيد منه الإنسان في حياته من عدة جوانب، يساعده على الاطلاع و الانفتاح على البلدان الأخرى من حضارات وعلوم ومعارف، و طلب العلم ونشره بين الشعوب المختلفة.

ثانيا: أنواع الرّحلات:

عرف العرب فن الرّحلات منذ أزمنة غابرة، تعود إلى ما قبل الإسلام، حيث كانت حياتهم

تقوم على الحِلِّ والتِّرحال بحثا عن الكلأ والماء، فقد أدركوا أن هذا الأخير «**هو قوام الحياة.**»[2]

وقد عرفت الرّحلات عند العرب أنواعا كثيرة منها: الرّحلة العلميّة، الدينية، الإقتصادية

و الرسمية.

أ_ الرّحلة العلمية:

من أشهر أنواع الرّحلات وأكثرها انتشارا، وقد تكون هذه الرّحلة استكشافية، دراسية أو

للقاء العلماء والأخذ منهم، وقد جاء في كتاب **"الرّحلات"** للشيخ **محمد لخضر حسين** وهو

يجوب أقطار المشرق العربي قوله: «**إن الإسلام لم يدع وسيلة من وسائل الرُقي إلاّ نبّه إليها وحرص على العمل بها، وهذا شأنه في الرّحلة فقد دعا إليها راميا إلى أغراض سامية: منها طلب العلم...**»[3]، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون : «**إن الرّحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التّعليم.**»[4]

---

[1] _ ناصر عبد الرزاق الموافي، الرّحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء للطباعة والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1995، ص40_41.

[2] _ حسين نصّار، أدب الرّحلة، دار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1991، ص97.

[3] _ سميرة أنساعد، الرّحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص24.

لعل أوّل من حقق هذا النوع من الرّحلات، النبي موسى عليه السلام بأمر من اللّه، إذ قال

الله عز وجل في هذا الصدد: **(فَلَوْلاَ نَفَر مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُم طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَهُوا فِي الدِّين وَلْيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُم يَحْذِرُون)**.[1]

ومن الملاحظ أن الرّحلات لم تقتصر على طلب العلم والأخذ عن الشيوخ فحسب، بل تجاوزت ذلك فقد سعى المسلمون إلى نشر علومهم ومعارفهم في كل الأمصار التي يجوبونها، وفي هذا تعليمًا للإسلام والدعوة لله عز و جل.

ومنه فالرّحلة في طلب العلم تحتل أهمية كبيرة، وتؤكد على التواصل العلمي والفكري والثقافي و الاجتماعي.

ب-الرِّحلة الدينية:

يعدّ الحج السبب الرّئيسي للقيام بهذه الرّحلات، فهو من العوامل القوية التي تدفع الرّحالة لشدّ رحالهم نحو المشرق الإسلامي لأداء مناسك الحج. وقد اكتسبت الرّحلة إلى الحج قيمة مقدّسة، ويقتضي هذا العامل أيضا « **زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلّم، والمزارات الدينية الأخرى، كالمسجد الأقصى أولى القبلتين، وثالث الحرمين، وقبورالأنبياء والصحابة والأولياء ويعدّ هذا العامل من أقوى البواعث على الرّحلة فهو مبعث الحنين..**»[2]

فالحج أقوى دافع جعل المسلمين يُقبلون من كل فج عميق ، لقول الله عز وجل:**(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِ فَجٍ عَمِيق)**[3]، فالحج أسمى رغبة يتشوّق إلى أدائها كافة الناس، ليس العلماء والفقهاء فقط.

كان للحكام والأمراء الفضل في تيسير الرّحلة إلى الحجاز لكل الحجاج من الغرب

---

[4] _ نوال عبد الرحمن شوابكة، أدب الرّحلات الأندلسية والمغربية حتى القرن التاسع هجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008، ص39.

[1] _ سورة التوبة، الآية:122.

[2] _ نوال عبد الرحمن شوابكة، أدب الرّحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ص 27.

[3] _ سورة الحج، الآية :27.

والشرق، حيث يقول محمد حسين فهيم في هذا الصدد: «**أن الحجاج كانوا يجتمعون في قوافل تبدأ صغيرة ثم تنمو كلما تقدم بها الطريق...وتسير القافلة في ألفة و نظام وتعاطف شامل يحميها جنود الحكام...)**[1]

ومن أشهر رحلات الحج رحلة **ابن جبير**، و**محمد العبدري**، و**ابن بطوطة**، فقد جمع هؤلاء

الرّحالة بين غرضين التعليمي والديني في رحلاتهم وطوّروا فن الرّحلات أسلوبا و مضمونا.

ج_ الرّحلة الإقتصادية:

لقد عرف العرب الرّحلة قديما ومارسوها في شبه الجزيرة العربية، لدافع التجارة مع الأقوام الأخرى سعيا لطلب الرّزق، وقد ذكر القرآن الكريم رحلة قريش التجارية، وهما رحلتا الشتاء والصيف، شتاءً إلى الشام وصيفًا إلى اليمن، ومنه فقد كانت «**التجارة من أهم العوامل التي دفعت الرّحالة إلى تدوين رحلته حتى يعين القارئ على معرفة طرق التجارة البرية والبحرية، ووصف الطريق والمناخ...لمعرفة الطرق إلى مكة للقيام بفريضة الحج وتسهيل عملية التجارة في مختلف البلدان والبقاع**»[2]، ليس هذا فحسب «**فالإنسان قد يرتحل لغرض العمل، وممارسة بعض المهن، أو لطلب إعانات من دول شقيقة، وتخليص من ديون عالقة وغيرها من الأسباب المرتبطة بطرق الكسب و الإقتصاد**»[3] فالرّحلة التجارية سعت لطلب الرزق من أجل تأمين سبل الحياة.

د_ الرّحلة الرّسمية:

يضم هذا النوع كلا من الرّحلات التكليفية، الإدارية والسفارية وهي مرتبطة بدوافع عديدة منها:

---

[1] _ سميرة أنساعد، الرّحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص28.
[2] _ نوال عبد الرحمن شوابكة، أدب الرّحلات الأندلسية والمغربية، ص47.
[3] _ سميرة أنساعد، الرّحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص29.

« تفقد أمر الرعية، أو تلبية طلب الحكام في معاينة أماكن مجهولة أو بعيدة، أو الإتيان بأخبارها، فقد تكون في إطار التجسس والاستطلاع.»[1]

لقد عدّت السفارة الشكل الرّسمي للرّحلات، يُوّكل بها الرّحالة من قِبل الحكّام، فهي رسالة يتنافس في أدائها من يكلفون بها، مهما كلّفهم الأمر من تضحيات، فالسّفير ممثل لدولته و عنوان لرقيّها، حيث كانت السفارة لا تنقطع بين الدول وما جاورها لأغراض و مقاصد متنوّعة، إما لتصفية الأجواء السياسية أو لمقصد الصلح وغيرها.

إن الرّحلات السفارية «**هي وليدة التقدم الحضاري، ونشوء الدول التي كانت ترسل مندوبين رسميين نيابة عنها من أجل التفاوض فيما بينها، وكان هذا التفاوض يطول مجالات شتى**».[2]

لعل أشهر الرّحلات التكليفية، رحلة سلام الترجمان عام (227ه_841م) الذي كُلِّف بها من

طرف الخليفة الواثق بالله، قصد معرفة حقيقة سدّ الصين الكبير «**ويدخل في باب التكليف بالرّحلة الحاجة أيضا إلى المعلومات والبيانات عن البلدان والشعوب التي امتد إليها الإسلام**»[3]، ودراسة التطور الحضاري للآخر وغيرها من الأمور دون أن نُغفل الرّحلة السفارية التي أُرسل وكُلِّف بها **البيروني** إلى بلاد الهند، التي أسفرت بدورها عن معرفة شاملة بأحوال الهند وشعبها ودراسته في مختلف نواحي الحياة ومجالاتها وخاصة الثقافية منها، وهذا ما كشفه كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة "، إلى جانب البيروني نجد **ابن بطوطة وابن خلدون**.

من خلال دراستنا لمختلف أنواع الرّحلات يتضح أنّ تعدد أغراض الرّحلات و الإرتحال قد أفرز فن نثري عُرف بأدب الرّحلة، وإذا كانت أنواع الرّحلة متعددة إلاّ أن أرفعها قيمة علمية وأدبية هي تلك التي قام بها أصحابها من أجل خروجهم للحج أو طلبا

---

[1] _ المرجع السابق، ص30.
[2] _ ناصر عبد الرزاق الموافي، الرّحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، ص33.
[3] _ حسين محمد فهيم، أدب الرّحلات، ص81.

للعلم أو الإثنين معًا، ومهما تعددت دوافع الرّحلة وتنوّعت فقد تضم الرِّحلة الواحدة أكثر من

دافع ديني، علمي، رسمي، وغيرها.

ثالثا_ أهمية أدب الرّحلات:

تكتسب كتب الرّحلات أهمية عظيمة، لأن الرّحلة سلوك إنساني هدفه إفادة ونفع الفرد والجماعة؛ فهي توسّع في مدركات الإنسان وتقوي شخصيته بفضل قساوة التجربة، ورهبة المغامرة وتحمّل المشاق والغربة من أجل الاعتياد على الغريب والتمرّس في التعامل معه فتقوم برصد الحياة الثقافية والاجتماعية للشعوب فهي« **أكثر المدارس تثقيفا للإنسان**»[1] لأن السفر جامعة تحفل بالدروس والعبر، تحتشد بالعلم والمعرفة، تشحن العقل و الوجدان وتزيد في الفهم الإدراك.

ليس هذا فحسب فقد أنجز الرّحالة بعض الرّحلات التي يُعتد بها في علم التاريخ والجغرافيا، فهي بمثابة اليد التي تقرّب شعوبا تناءت وابتعدت عن شعوب أخرى لقول الله عز وجل: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم إِنَّ اللَّه عَلِيمٌ خَبِير)**[2].

إن الله عز وجل لم يخلق الشعوب في موضع واحد، بل فرّقها وجعل بينهما المسافات وبثّ في الروح حب البحث من أجل اللّقاء والتعارف، لأن الرّحالة أثناء تدوين رّحلته فهو يقدّم للقارئ معلومات قد تكون دينية كتعليم مناسك الحج والعمرة، أو معلومات تاريخية ، جغرافية وغيرها، ويعرّفه بأعلام وبلدان لم يكن على يقين بها ،معتمدا في ذلك أسلوبًا يمزج بين السرد والقصّ، الذي يحرّك في القارئ عنصر التشويق، لذلك اعتبر الدكتور شوقي ضيف «**أدب الرّحلة خير رد على ما أُتهم به الأدب العربي بقصوره في فن القصّة.**»[3] فهو أدبٌ منفتح على جميع الأجناس الأدبية قصّة، رواية، سير ذاتية و غيرها.

---

[1] _ فؤاد قنديل، أدب الرّحلة في التراث العربي، ص21.

[2] _ سورة الحجرات، الآية :13.

[3] _ شوقي ضيف، الرّحلات، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، 1119، ص6.

ومنه فأهمية أدب الرّحلة تكمن في قيمتها العلمية والفنية وغيرها، وما زاد هذا النوع من الأدب

ثراءً وأهمية هو اقترانه ببعض العلوم الجديدة كعلم الاجتماع و الإقتصاد ، وكذلك الأديان والأساطير فأدب الرّحلة «**سجلا حقيقيا لمختلف مظاهر الحياة**»[1]، حيث نجد الإمام الشافعي يقول[2]:

سافر تجد عوضا عمن تفارقه وانصب فإن لذيذ العيش في النصب

فهو ينوّه لما يجنيه الإنسان من لذيذ العيش ومنفعة في الرّحلة.

رابعا_ الرّحلة في الأدب العربي:

أسهم العرب والمسلمون خلال رحلاتهم المتعددة في فتح بلدان من الهند والصين إلى المحيط الأطلسي وجبال البرانس، فتوّحدت بذلك الأمم في الدين وانتفت بينها الحدود، وكان هذا عاملا بارزا في كثرة الرّحلات عند العرب قديما.

قدمت العرب على مر العصور «**خدمات جليلة في دراسة أحوال البلاد العربية والإسلامية من مختلف نواحيها.**»[3]

لقد شرع العرب في تأليف رحلاتهم بداية من القرن الثالث هجري الَموافق للقرن التاسع ميلادي، حيث «**وُسمت أعمالهم بالصبغة الجغرافية والتاريخية**».[4] فقد عَرَفُوا السفر و ارتحلوا خارج الوطن برًا وبحرًا، وتميزوا عن غيرهم بهذه المؤلفات، وكان من أهم الأسباب في تدوين الرّحلات هي« **حاجة الدولة إلى معرفة الطرق الكبرى التي تصل أقاليمها، ومن ثَم أُلِّفت كتباً كثيرة في وصف المسالك والممالك**»[5]، ومن بين المؤلفين في الجغرافيا نجد الأصمعي و الجاحظ. وقد ألّف ابن خرداذبة كتاب "المسالك والممالك"، بدافع

---

[1] _ نوال عبد الرحمن شوابكة، أدب الرّحلات الأندلسية والمغربية، ص52.
[2] _ فؤاد قنديل، أدب الرّحلات في التراث العربي، ص9.
* _ البرانس: جبال البرينه الفاصلة بين فرنسا وإسبانيا.
[3] _ حسني محمود حسين، أدب الرّحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط2، 1983، ص8.
[4] _ سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص40.
[5] _ شوقي ضيف، الرّحلات، ص9.

تنظيم أمور البريد و غيرها. ويليه مجموعة من المعاصرين من كتاب القرن الرابع هجري، كأحمد بن جعفر اليعقوبي صاحب كتاب "البلدان"، والمسعودي صاحب مؤلف "مروج الذهب ومعدن الجوهر"، وابن حوقل وكتابه "صورة الأرض" والمقدسي صاحب كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" « **فقد مثّل "ابن حوقل" مع المسعودي والمقدسي طليعة هذه الكوكبة المتألقة من خدام علم الجغرافيا وأدب الرّحلات.**»[1]

أما في نهاية القرن الرابع هجري ألّف "ابن الفقيه الهمذاني" كتابه "البلدان"[2]، حيث اعتمد فيه على الكتب السابقة في المجال الذي تعدى حجمه ألف ورقة.

لقد عرفت الرّحلة العربية منذ أواخر القرن السادس هجري تحولا في اتجاه الكتابة، من اعتناء بجغرافية البلدان وآثارها الحضارية، وبدأ الإعتناء بسرد يوميات الرّحالة وذلك بذكر مشاعره، وأفكاره، وانتقاداته، بأسلوب سردي قصصي، بطريقة بسيطة وسلسة، «**وبهذا انتقلت الرّحلة من طابعها العلمي إلى الطابع الأدبي.**»[3]

ولعل أبرز من مثّل هذا الاتجاه الأدبي في ثنايا رّحلته التي عنونها باسم "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"، ومع ذلك فإن من نشرها في العصر الحديث آثروا أن يطلقوا عليها اسم "رحلة ابن جبير"[4]، التي وصفها الدكتور "حسني محمود حسين" بقوله: «**إن هذه الرّحلة تحوي بعض المعلومات التي لا يستغني عنها مؤرخ أو جغرافي، أو أديب يدرس هذه الفترة...وقد رفع بها صاحبها هذا الضرب من الصياغة الأدبية إلى درجة عالية**»[5] فهذه الرّحلة قد أفادت الكثير من المؤلفين بعده.

إن حركة التأليف والكتابة لم تقتصر على هذا الرّحالة فحسب، بل جاء بعده من فاقه شهرة واتساعا، هو الرّحالة ابن بطوطة الذي عدّ أشهر الرّحالين شرقا وغربا، فرحلته

---

[1] _ فؤاد قنديل، أدب الرّحلات في التراث العربي، ص229.
[2] _ سميرة أنساعد، الرّحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص41.
[3] _ المرجع السابق، ص42.
[4] _ شوقي ضيف، الرّحلات، ص71.
[5] _ حسني محمود حسين، أدب الرّحلة عند العرب، ص32.

«تكاد أن تكون دائرة معارف مصغّرة للعصر الذي عاش فيه الرّحالة، لذلك لقيت من عناية الباحثين

ما هو جدير بها من الإهتمام، فطبعت عدة مرات وترجمت إلى الإنجليزية والفرنسية و البرتغالية.»[1]

إضافة إلى ابن بطوطة نجد من رحالي القطر المغاربي "ابن خلدون" صاحب "التعريف بابن خلدون ورحلتيه شرقا وغربا"، الذي أعتبر سيرة ذاتية لصاحبه ضمّنه رحلاته في المغرب والمشرق.

المتتبّع لمسار التأليف في الرّحلات العربية، يلاحظ _إضافة إلى تحوّل منهج الكتابة والأسلوب_ فقد انتقل التأليف من المشارقة إلى المغاربة انطلاقا من القرن السادس هجري الذين عُرفوا بتفوّقهم في أدب الرّحلات وركزوا على تسجيل أخبار الأدباء والعلماء.

لقد عرفت الرّحلة خلال القرنين **التاسع والعاشر هجريين، الخامس عشر والسادس عشر ميلادي**، تراجعا بسبب الحروب وتزايد هجمات الأوروبيين على السواحل المغاربية، ولكن سرعان ما ينقشع هذا السحاب وتعود الرّحلة إلى نشاطها المعهود ابتداءً من القرن **الحادي عشر هجري الموافق لـ السابع عشر ميلادي**، ولعل أبرز من مثّل هذه الفترة، نجد **أبو سالم العياشي** صاحب الرّحلة الضخمة **"ماء الموائد"**[2]، وغيره كثير.

في العصر الحديث تغير اتجاه الرحلات، فلم يبق كما عهده الرّحالة من المشرق والمغرب، بل أصبحت أوروبا هدفهم بسبب ما فيها من تطور في وسائل الإنتاج وغيرها فقد عرّفوا بالحضارة الغربية ونشروا أفكارًا ونُظُمًا، مباديء جديدة في الوطن العربي.

لقد بدأ أبناء البلاد العربية، يرتحلون إلى تلك البلاد طلبا للعلم أو العمل أو السياحة. فانتعش أدب الرّحلة بذلك، وأبرز من مثّل هذه الفترة الشيخ **"رفاعة رافع الطهطاوي"** و**"شهاب**

---

[1] _ أبو عبد الله ابن محمد اللاواتي ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة "تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، ص10.

[2] _ سميرة أنساعد، الرّحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص45.

الدين الألوسي"، وغيرهم.

أما في القرن العشرين، فقد زاد الإتصال وتعمّقت آثاره، وزاد الوعي واليقظة ، وكثر الرّحالون فقد كان على رأسهم **" محمد لبيب البتنوني الذي عرف برّحلته الحجازية"**[1] وكذلك **محمد حسين هيكل، وطه حسين،** وغيرهم. **"فقد انتعش الأدب وبدأت زهوره في التفتح من جديد"**[2] ، كان ذلك على يد هؤلاء الرّحالة الذين كانت نتاجاتهم نبراسا يضيء طريق النشئ.

خامسا_ الرّحلة في الأدب الجزائري:

أسهم الجزائريون مساهمة واضحة في كتابة الرّحلات، ولاسيما خلال القرن الثامن عشر ميلادي، فقد كانت رِّحلاتهم لغرضين: لطلب العلم، والقيام بفريضة الحج، ولكن الجزائريين بالقياس مع كتّاب الرّحلات المغاربية كانوا قليلي الإنتاج، وذلك مرده إلى أن «**الكثير من العلماء الذين ارتحلوا إلى المشرق لم يفكّروا في تدوين رِّحلاتهم، أو أنهم دوّنوها لكنها تعرّضت إلى الضياع**»[3]، والملاحظ أن الكتب التي تناولت المواضيع الجغرافية تكاد تنعدم «**باستثناء رحلة ابن الدين الأغواطي، وبعض إشارات الورثيلاني، وابن حمادوش.**»[4]

أما رِّحلات العهد العثماني فقد تفرعت إلى قسمين: علمية و حجازية، فالعلمية التي قام بها أصحابها لطلب العلم والزيارة و الاطلاع على البلدان، ومن أقدم من قام بهذه الرّحلات **عاشور بن موسى القسنطيني** المعروف بالفكيرين الذي شد رحاله لطلب العلم في عدة بلدان منها تلمسان والسودان، وكذلك رحلة **عبد الرّزاق ابن حمادوش،** ورحلة **ابن الدين**

---

[1] _ المرجع نفسه ، ص48.
[2] _ حسني محمود حسين، أدب الرّحلة عند العرب، ص15.
[3] _ سميرة أنساعد، الرّحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص52.
[4] _ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1830، ص 382.

الأغواطي إلى الصحراء فقد كانت في غاية الأهمية، لأنها كتبت حوالي 1242ه/1826م.[5]

أما فيما يخص الرّحالة والرِّحلات الحجازية الجزائرية في العهد العثماني فلم يدوّن الجزائريون رِّحلاتهم إلاّ منذ مدة قريبة نسبيا مقارنة بالمدونين المغاربة، وهذا لا يعني غيابهم نهائيا وإنما أغلبهم لم يسجلوا مشاهداتهم بسبب غياب حس التدوين، فضلا عن بقاء الكثير منهم في البقاع المقدّسة «**فلو رجع عيسى الثعالبي، ويحي الشاوي،...وغيرهم لكتبوا رِّحلاتهم ولكنهم لم يفعلوا**»[2].

لقد توجه الجزائريون إلى الحجاز نتيجة توق روحي نحو الحرمين وزيارة البقاع المقدسة فالرّحلة الحجازية قسّمت إلى نوعين: شعرية و نثرية، وقد تحدث فيها الرّحالة و وصفوا الأحداث أثناء الطريق، وكذلك تحدثوا عن طبائع بعض المجتمعات التي يجوبونها، فنجد **الورثيلاني** مثلا قد تحدث عن حسد ومقت في المجتمع المصري تجاه كل ما هو مغاربي فيقول: «**فلا تجد أحدا من أهل مصر إلاّ يحقر المغاربة حتى كادوا أن يخرجوهم من الإسلام...**».[3]

ركزت رحلاتهم على ما يمثّل التواصل العلمي والاجتماعي بين أهل الجزائر وبقية المجتمعات، ومن الرّحلات الحجازية نذكر رحلة **البوني** المسماة **"الروضة الشهية في الرّحلة الحجازية"**، وكذلك رحلة **أحمد المقري** ورحلة **حسين الورثيلاني**، المسماة **"نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"** وغيرهم كثير.

أما الرّحالة الجزائريون في القرن التاسع عشر أمثال **محمد السعيد بن علي الشريف**، وكذلك الرّحالة **سليمان ابن صيام**، وإلى جانب هذين الرّحالين نجد **الشيخ عبد الحميد ابن**

---

[5] _ أبو القاسم سعد الله، رحلة الأغواطي ابن الدين في شمال إفريقيا والسودان والدرعية، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2011، ص80.

[2] _ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج2 ، ص382.

[3] _ الورثيلاني الحسين بن محمد السعيد، الرحلة الورثيلانية نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشؤون الفنية، القاهرة، مصر، ط1 2008، ص645.

باديس أحمد رضا حوحو، أهم من مَثَّلاَ الرّحلة الجزائرية في القرن العشرين، وما ميز الرّحلات في هذا القرن كان أصحابها رجال الحركة الإصلاحية من علماء وأدباء بعضها داخل الوطن والبعض الآخر إلى المشرق العربي أو إلى أوروبا والاتحاد السوفياتي، حيث امتاز أسلوب الرّحلات في هذا القرن بالضعف لأن هدفها الوحيد تسجيل الواقع والدعوة إلى إصلاحه.

رأى الدكتور ابي القاسم سعد الله أنه لا يمكن الحديث عن رّحلات مدونة ومكتوبة بالأسلوب

المغاربي إبان الثورة التحريرية، فيقول: «**وذلك فإن حديثنا عن الرّحلات هنا فيه تَمَحُل و تعسف فنحن نشير إلى تقاليد ومدوّنات لا تدخل في باب الرّحلة إلاّ تجاوزا**»[1]، من ذلك رّحلة الشيخ الغسيري وغيرها.

وأخيرا، فإن الرّحلات الجزائرية عنيت بتصوير الحياة العامة للجزائريين، حيث امتازت بأسلوب صحفي لتتناسب ومستويات القراءة، أما الرّحلات إلى خارج الوطن فقد تنوّعت بين دينية، وسياسية، وعلمية.

[1] _ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج10 ، دار البصائر، الجزائر، د ط، 2007 ،ص579.

الفصل الثاني: المضامين الأنثروبولوجية الثقافية والاجتماعية في الرّحلة الورثيلانية.

أولا_ المضامين الاجتماعية.

ثانيا_ المضامين الثقافية.

ثالثا_ حوصلة عن الرحلة

اهتمت الأنثروبولوجيا بدراسة الإنسان في عاداته وتقاليده وأعرافه، ومختلف نشاطات حياته، ومنه «**أصبحت مهمة الباحث الأنثروبولوجي دراسة النسق الاجتماعي**» [1] وهذا ما وجدناه في رّحلة الورثيلاني، حيث اهتم صاحبها بتصوير بعض الجوانب الاجتماعية والثقافية في عديد البلدان التي مر بها أو حط رِحاله فيها، ومن بين الإشارات المتعلّقة بهذا الجانب نذكر:

أولا_ المضامين الاجتماعية:

1_ العادات والتقاليد:

إن العادات والتقاليد الاجتماعية ترتبط بسلوك الإنسان اليومي مع نفسه ومع الآخر، وهي تحمل صفة القدسية والتصديق الجازم في كل مجتمع، حيث يخضع لها ويمارسها بعفوية فذكر بعض العادات التي سادت وما تزال عند بعض العائلات البربرية كقطع للميراث عن المرأة ، لأن ذلك في نظرهم يشتت ثروة الأسرة، كما جاء على لسان الرّحالة: «**ومن عاداتهم القبيحة قطع الميراث للنساء بل زادوا في الظلال أن الرجل إذا مات ورث أخوه ماله وزوجته، كما كان في الجاهلية...حتى قويت دسائسهم بكثرة المخالفة**»[2]، وقد تصل الأمور إلى قتل الأخ أو ابن العم إذا كان ذا مال وجاه طمعا في الميراث.

أما عادات بايات بجاية فقد قال فيهم: «**أنّهم يُزارون ولا يزورون، وإذا افتقدوا أحدا بعثوا إليه ليزوروه في محلّهم خوف الإزدراء والنقص في حقهم...**»[3]، فقد كانوا بايات ذووا شأن عظيم لا يقبلون الذل لأنفسهم ولا يحطون من شأنهم.

يعرج الرّحالة إلى بلاد تونس، وبالتحديد ولاية توزر التي اشتهرت بالخطفة والسرقة كما جاء على لسانه: «**وتوزر وقابس محل الخطفة، بل توزر أعظم فكل من غفل عن شيء أو حاجة في يده إلا خطفوها، فإياك والغفلة فيهما...**»[4]

لقد نقل الورثيلاني من الرّحلة العياشية شيئا من العادات الاجتماعية المذمومة، فقد جاء على لسانه ذاكرا نساء المدينة المنورة اللّاتي كان لهن دور في النشاط الإقتصادي بسبب تحررهن، فقد قال فيهن: «**من أنه لا تبقى امرأة شريفة كانت أو وضيعة إلاّ خرجت تباشر البيع والشراء بنفسها...**»[5]، إضافة إلى نشاطها التجاري فقد كانت نسوة المدينة متحررات

---

[1] _ ربيع كردي، البنائية الجديدة في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، مصر العربية للنشر والتوزيع القاهرة،مصر، ط1، 2010، ص34.
[2] _ الورثيلاني، الرّحلة الورثلانية، ج1، ص143.
[3] _ المصدر السابق، ج1، ص89.
[4] _ المصدر السابق، ج1، ص163.
[5] - المصدر نفسه، ج1، ص541.

ولهن سلطة في السوق فقد كن لا يُديَّن الرّجال، ويواصل الرّحالة ذمه لهن بسبب خروجهن للتنزه والتفرج في البساتين، وكذلك تكليف المرأة لزوجها مالا طاقة له به، وكانت إذا عزمت على التسوق فهي لا ترضى بدراهِمَ قليلة، وكانت تجبر زوجها على الإتيان بمبلغ أكبر كما جاء على لسان الرّحالة: «**طلبت منه في ذلك اليوم ما تخرج به إلى التسوق على العادة فدفع لها عشرة دنانير ذهبا فاستقلتها وذهبت من شدة الغضب فرمت بها في المرحاض وقالت أَمِثلِي يخرج إلى السوق بهذا المقدار، فلم يملك من أمره إلاّ أن ذهب وتَسَلَف خمسين دينارا فدفعها لها**»[1].

هذا الذم للنساء لم يخص به نسوة المدينة فقط، بل أيضا نساء الركب الجزائري ونساء زمورة اللاّتي كن على قدر من التحرر، فهن يمارسن أمور تخالف روح الدين وتعاليمه، فمن عاداتهن أن يخرجن متبرّجات معطرات بالطيب: «**فنجد النساء متطيّبات متبرّجات كأنهن في ليلة الزفاف، يمشين في الشوارع والأزقة مكشوفات العورات...**»[2]، وغيرها من العادات التي تخدش الحياء وتخالف ما ينص عليه ديننا الحنيف وقول الله عز وجل: **(يَا أَيُّهَا النَبِيُ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء المُؤمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا)**[3]

واصل الرّحالة حديثه عن الآخر وعاداته وبالتحديد أهل مصر، فقد رأى فيهم عادة خالفت المألوف، قد تزامنت وخلافة عمر رضي الله عنه لمصر التي استولى عليها عمر ابن العاص وهو أن نهر النيل إذا جَفَ «**عمدوا إلى جارية بكر حسنة، فأرضوا أبويها بالأموال وألبسوها الحلي والحلّل وألقوها في النيل...**»[4]

لقد استنكر عمر بن الخطاب هذه العادة ولم يطبقها وكتب رسالة وأرسلها إلى نيل مصر كما جاء على لسان الرّحالة: «**بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد فإن كنت تفيض بما تفيض فلا تفض وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فتسأل الله الواحد القهّار أن يجريك...، فألقاها في النيل يوم الجمعة فأصبحوا يوم السبت وقد فاض النيل... وقطع تلك العادة.**»[5]

لقد لاحظ الورثيلاني عادة غريبة في أهل طرابلس، فهم يستعملون البقر للركوب والتنقل «**من الغرائب ركوبهم على البقر وحمل الهوادج عليها وأناختها عند الركوب والنزول مثل**

---

[1] _ المصدر نفسه، ج2، ص542.
[2] _ المصدر السابق، ج2، ص807_808.
[3] _ سورة الأحزاب، الآية :59.
[4] _ الورثيلاني، الرّحلة الورثلانية، ج2، ص665_666.
[5] _ المصدر نفسه، ج2، ص666.

الإبل وكذلك الغنم لا يسوقونها إنما يسير صاحبها أمامها قَلَت أو كَثُرت، وهي تتبعه فإذا أمهل في السير أمهلت وإذا أسرع أسرعت.»[1]

فالرّحالة جاب كل البقاع، وكل مكان له عادات وتقاليد تميّزه عن غيره، ونظرا لطول الرّحلة فقد عمدنا الوقوف على بعض العادات فقط كما أسلفنا الذكر، لأن في ذلك أمور كثيرة يطول شرحها.

أ_ عادات وتقاليد الزواج:

يعد الزواج الوسيلة الشرعية لإقامة وتأسيس أسرة وفق الشرع والقانون، حيث أشار الرّحالة إلى مناسبة الزواج في حياة الإنسان، وما يتبعها من عادات وتقاليد وأعراف مختلفة، تختلف باختلاف المجتمعات مما يثبت الخصوصية و الإنفرادية التي يتميّز بها كل شعب وكل بلد، فقد تحدث عن عادات أهل المدينة، باعتبارها المنطقة الوحيدة التي تناولها بالوصف وحدد كيفية الزواج فيها، فقال: «**فمن عاداتهم في الأملاكات أن يكون عقد النكاح بالمسجد الحرام فيأتي أكابر المدينة من أرباب المراتب والمناصب والخطيب فيجلسون صفين من المنبر إلى الحجرة الشريفة...**»[2] ، وبعد الانتهاء من عقد النكاح «**يُؤتى بأطباق من اللوز والسكر ويفرّق ذلك على الحاضرين.**»[3]

و على خلاف عادة المغرب الذين كانوا يحتفلون بعد عقد النكاح بالغناء والموسيقى، فإن أهل المدينة إذا انتهوا من عقد النكاح «**يقوم المنشد بإنشاد قصيدة أو قصيدتين في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم...**»[4]، ثم تفرّق الجموع ويتبادل أهل العريس وأهل العروس التهاني أما ليلة الدخول فلهم عادة ميّزتهم عن غيرهم وهي أن العريس هو الذي يُزَف إلى العروس في بيت أهلها: «**فيدخل العريس ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو ثم يذهب به كذلك يزفونه إلى بيت المرأة في دار أهلها...صار الزوج هو الذي يزف فإذا أصبح الزوج يذهب من بيت الزوجة إلى بيته وأخذ في إطعام الناس طعام الوليمة وجاء الناس لتهنئته وفي الليلة القادمة تأتي الزوجة من دار أهلها إلى دار الزوج.**»[5] وفي هذا اختلاف عن عادات المناطق الأخرى التي جرت العادة بها بزف الزوجة إلى بيت زوجها وليس العكس.

ومنه فالزواج رباط وثيق يزدان بتباين واختلاف العادات من مجتمع لآخر وحتى في المجتمع نفسه، فكل متمسك بعاداته ويرفض أي انسلاخ أو شذوذ عنها، وما زاد في بهائه

---

[1] _ المصدر السابق، ج2، ص671.
[2] _ المصدر السابق، ج2، ص588.
[3] _ المصدر نفسه، ج2، ص588.
[4] _ المصدر نفسه، ج2، ص588.
[5] _ المصدر السابق، ج2، ص589.

تلك المودة والرّحمة التي جعلها اللـه بين الزوجين، كما يقول الله عز وجل في محكم تنزيله: **(وَمِنْ آيَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَة وَرَحْمَة إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَرُون)**.[1]

ب_ عادات وتقاليد اللّباس:

يعد اللّباس جزءا من ثقافة المجتمع، بل من أهم المظاهر المشكّلة للثقافة، ومنه تنبع أصالة المجتمع، وهو كذلك إبداع للجماعة الاجتماعية الضاربة بجذورها في عمق التاريخ والمتداول من جيل إلى جيل.

فاللباس خاصية إنسانية ظهرت منذ القدم منذ أن سكن الإنسان الكهوف والمغارات، واتخذ من الأعشاب وأوراق الشجر لباسًا، فتطور بتطور الجماعة عبر الأجيال، وكل جيل يضفي عليه ما تقتضيه بيئته ومحيطه، وإن كان اللّباس لا يظهر كثيرا في هذه الرّحلة فقد تحدّث الرّحالة عن أهل قسنطينة فقال: «**أن بها من الثياب الحسنة الرفيعة من الصوف والكتان وكل ذلك مناقض للخشية والعبودية، ومثير للشهوات وإظهار للمعاصي.. والنساء الطيبات المتبرّجات كأنهن في ليلة الزفاف...مكشوفات العورات كالصدر والثدي وتحت الإبط والساق...**»[2].

لقد صوّر الرّحالة نساء قسنطينة في صورة الجاهلية، فقد تجردن من الدّين ونواميسه وخلعن رداء الخجل الحياء.

والحال نفسها لدى نساء زمورة كما جاء على لسانه: «**فنساؤهم باديات مكشوفات.**»[3] فالرّحالة في هذا الصدد يصف اللباس وفي الوقت نفسه يذم عادات النسوة اللاّتي يتبرجن ويكشفن عوراتهن.

لاحظ الرّحالة في عهده أن نساء الرّكب الجزائري ولاسيما أهل عامر فلا حكم لهن ولا يمتثلن لأمر أو لنهي، فقد كانت النسوة تمشين في الأسواق والشوارع متزيّنات متبرجات رفقة الرّجال، وقد واصل ذمه لهن موضحا بعض الأمور التي تمارسها نساء المسلمات وهي أمور تخالف روح الدّين وتعاليمه، فنهى عن أشياء وسلوكات اعتادت أن تقوم بها تلك النسوة تتقاطع وما يدعو إليه الدّين الإسلامي.

يواصل الرّحالة حديثه عن اللّباس، حيث اعتاد أهل القدس في فصل الشتاء بأن يكثروا اللباس ،كما قال الرّحالة: «**حجاج القدس عندما لاقوا من البرد والثلج والمطر كان عليهم**

---

[1] _ سورة الروم، الآية :21.
[2] _ الورثيلاني، الرّحلة الورثلانية، ج2، ص807.
[3] _ المصدر نفسه، ج1، ص109.

عدة لباس من الأقبية والقمص وجوخة فوق ذلك.»[1]، فقد كان هذا لباسهم إذا اشتد البرد وهطل المطر.

ج_ عادات وتقاليد الأكل:

الأكل هو حاجة بيولوجية للإنسان، يتطلبه جسده وشرط يضمن له وجوده وكينونته واستمراريته، إضافة إلى هذه الميزة فقد أصبح الأكل يشكّل مادة للباحث الأنثروبولوجي فهو يعكس مدى ثقافة وعراقة المجتمعات.

أما الورثيلاني فقد اقترن حديثه عن الأكل بكرم الضيافة في البلدان التي حط رحاله فيها، فقد تحدث عن أكابر توزر وذوي رئاستها فقد أكرموا من كان في الركب واستضافوهم في ديارهم و «**أخرجوا موائد كل مائدة تكفي الجم الغفير والعدد الكثير كثر الله خيرهم.**»[2] ولما تأخر شيخنا الورثيلاني رفقة شيخ الركب في بعض نواحي توزر، فقد لقي رجلا استضافه في بيته وقد جادت عليه زوجته بأكل وفير، «**ثم قامت المرأة وجعلت لي خبزة ثم كسرتها في الحليب أعني لبن الغنم، ووضعت عليه شيئا من الزبدة ثم أخذت في الأكل فما وجدت أحلى من ذلك الطعام ولا أذوق منه طعما كأنه من الجنة.**»[3]

كما تحدث الرّحالة على كرم وجود أهل تونس في قوله: «**فبتنا مع جمع كثير...فكثر أنواع الأطعمة وأنواع الطبائخ بأن ذبح سبعة أكباش وثورا.**»[4]، وقد أكرموا ضيافته بأن أعدوا «**الكسكس واللّحم كثر الله خيره**»[5]، والضيافة نفسها التي لقيها الرّحالة ومن معه في طرابلس، حيث قال: «**فنزلنا عندهم صبيحة فأطعمونا بالكسكس واللحم كثر الله خيرهم فدعونا لهم بقريحة قلب وقوة اهتمام وعزم.**»[6]

لم يُغفل الرّحالة بحديثه عن الأكل وكرم الضيافة أهل مصر حيث أدركه الجوع ومن معه فاستراحوا بقرب من معاطن للمياه فجاؤوهم جماعة من المحبين والشرفاء بأكل وفير كما ورد على لسانه: «**الإقامة على بعض المعاطن استراحة...أتتنا جماعة من المحبين من الشرفاء وغيرهم بالطعام واللّحم أعني الخبز ونوعا آخر يسمى عندنا بالفطير وعند بعض**

---

[1] _ المصدر السابق، ج1، ص398.
[2] _ المصدر السابق، ج1، ص158.
[3] _ المصدر نفسه، ج1، ص158.
[4] _ المصدر نفسه، ج2، ص740.
[5] _ المصدر نفسه، ج2، ص761.
[6] _ المصدر السابق، ج2، ص740.

الناس يسمى بالسمن والتمر الجديد بأن حملوا واللّــه أعلم على الإبـل...فقـد وجـدونا على جوع فأتوا إلينا بالخبز واللّحم عند وقت الغداء.»[1] ، وتـابعوا سـيرهم إلى أن وصـلوا إلى الجبل «**ثم سرنا كذلك إلى أن وصلنا إلى الجبل فبتنا هناك وكان يطعم بعض المرابطين فيه العصيدة، فوجدنا عندهم عصيدة باللّحم فأكل منهـا جميـع الحجيج تبركـا بهم.**»[2]، ولمـوا بلغـوا دار الـولي الصـالح سـيدي علي الصـافي «**وجـدوا مائـدة من النـوع الـذي يسـمى المحمصة.**»[3] حيث اعتادوا أهل مصر بأن يجعلوا السمن الكثير في هذا النوع من الأكل.

تحدث الرّحالة عن تلك المشقة التي يعانيها الحجاج في عثورهم على الماء الصالح للشرب باحثين من بئر لأخرى، على حدّ قوله :« **بعده الـدركين المسـمى الآن بالحنـك لا مـاء فيـه، وبعده الإكراه فمـاؤه أقبح وأقبح فقد يهلـك من شـرب منـه...**»[4]، حيث اعتمـدوا في أثنـاء سقايتهم على بعض الأواني الصغار «**كالاستسـقاء بـالأواني كالقـدح وغيرهـا.**»[5]، ونظـرا لمشقة العثور على الماء يتوجب على الحجاج عدم الإكثار من الأكـل في تلـك المنـازل، لأن كثرته تستدعي الشرب الكثير من تلك المعاطن لأن منها ما يؤذي وربما يؤدي إلى الهلاك.

ومنه فالرّحالة في أثناء حديثه عن الأكـل واختلافـه من منطقـة لأخـرى، لم يُغفـل ظـاهرة الجوع في بعض المناطق نتيجة لأوضاع سياسية كالحروب أو إقتصادية ، فمثلا حديثه عن أهـل "برقـة" في قولـه: «**وبالجملـة فأهـل برقـة يموتـون بـالجوع موتـا كثـيرا عنـد أبـواب الديار...فترى السائل يصـيح على البـاب إلى أن يمـوت على عتبـة الـدار.**»[6] ومنهم من لا يذق طعاما لمدة طويلة: «**إنما فيه المجاعة العظيمة يموت فيها الخلق لاسيما عـرب برقـة: فقد حكوا لنا أن بعضهم لم يـذق طعامـا أربعـة أشـهر وبعضـهم سـتة أشـهر وإنمـا يـأكلون الحشيش والنبق وغيرها.**»[7]

2_ الزراعة:

تشـكل الزراعـة جانبـا مهمـا وجـزءًا لا يتجـزأ من النشـاط الإقتصـادي، فهي تعكس مـدى احترافية الشعوب ونشاطها الإقتصادي من جهة، ومن جهة أخـرى فهي تضـمن لهم غـذائهم الذي هو أساس استمراريتهم.

لقد تحدث الرّحالـة عن الزراعـة كنشـاط اقتصـادي ،ورأى أن الجزائـر بلاد زرع خصـب وإنتاج وفير، ومنه حديثه عن مدينة قسنطينة بقوله: «**واسعة الأرزاق كثـيرة الإرتفـاق كثـير**

[1] _ المصدر السابق، ج2، ص713.
[2] _ المصدرنفسه، ج2، ص717.
[3] _ المصدر نفسه، ج2، ص718.
[4] _ المصدر نفسه، ج2، ص626.
[5] _ المصدر نفسه، ج2، ص626.
[6] _ المصدر السابق، ج2، ص706.
[7] _ المصدر نفسه، ج2، ص703.

فيها اللّحم والسمن والقمح والتين ما أحسنها زرع ودرع وضرع، قليلة الفواكه كثيرة المزارع.»[1]، وكذلك حديثه عن مدينة بسكرة: «**فهي مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار... حواليها بساتين كثيرة...وفيها أصناف من التمر حتى عرفت ببسكرة النخيل.»**[2]

كما تحديث عن طولقة بقوله: «**ذات نخيل كثير، وزرع كثيف، وزيتون ناعم، وكتان جيّد وماء جار،...كثرت فيها مزارع الحناء، والفواكه والخضر والبقول واللحم والسمن.»**[3] والحال نفسها مع زمورة « **فهي كثيرة المياه، أرضها ذات زرع وضرع بلا اشتباه.»**[4]، كما اشتهرت مدينة تاجوراء بزراعة الرمان: « **وتاجوراء هذه المدينة طيبة فيها أشجار، وفيها فاكهة ونخل ورمانها لا نظير له فيما رأيت.»** [5]

لقد امتازت مدينة تونس بمزارع متنوعة وخير وفير، بسبب مناخها المعتدل و وفرة المياه فيها، ما أكسبها اقتصاد متنوّع يملك قطاعات زراعية مختلفة، لذلك شهدت معظم مدنها وفرة في الإنتاج، كما جاء على لسان الرّحالة: « **وقابس مدينة فيها مياه كثيرة وبساتين من نخل ورمان وعنب وتين، وفواكه جمة فهي بلدة عظيمة...مشهورة بمزارع الحناء.»**[6] وكذلك حديثه عن مدينة توزر: «**هي مدينة كبيرة...حولها رياض واسعة كثيرة النخل والبساتين والثمار»**[7] ،في حين نجد مدينة صفاقس قد اشتهرت بكثرة بساتينها ووفرة محاصيلها، كونها تقع بمحاذات البحر، فقد قال فيها الرّحالة: «**كانت مدينة صفاقس على شاطئ البحر وفيها بساتين عظيمة وجنات كثيرة يستحليها الناظرون والمسافرون.»**[8]

وبالجملة فإن تونس وباختلاف مدنها فهي ذات خير عظيم، حالها كريم وطبعها نسيم، حلوة المذاق، عزيزة الفراق، قوية الأسواق، واسعة الإنفاق، جالبة للأرزاق، كثيرة الفواكه والمزارع في كل الأوقات، فواكهها قليلة الوجود.

وقد تحدث الورثيلاني عن مصر باعتبارها حضارة قديمة، قامت على ضفاف نهر النيل، ما ساعد في توافر كل مقوّمات الزراعة من تربة خصبة ومياه، ومناخ معتدل، لذلك أصبح نهر النيل شريان الحياة في مصر، فخصوبة هذا النهر أعطى السكان الفرصة لتطوير

---

[1] _ المصدر السابق، ج2، ص791.
[2] _ المصدر السابق، ج1، ص122.
[3] _ المصدر نفسه، ج1، ص117.
[4] _ المصدر السابق، ج1، ص108.
[5] _ المصدر نفسه ، ج1، ص213.
[6] _ المصدر نفسه، ج2، ص755.
[7] _ المصدر السابق، ج2، ص757.
[8] _ المصدر نفسه، ج2، ص706.

الإقتصاد الزراعي، لذلك نجد الرّحالة قد تعجب من وفرة الإنتاج في مصر بقوله: « **قد تعجبنا من كثرة الفواكه من سفرجل ورمان وعنب على اختلاف الألوان**»[1]، كما اعتنوا بزراعة البطيخ « **ورأينا بها مزارع بطيخ متنوعة.**»[2]

فصّل الرّحالة في ذكر ما اشتملت عليه المدينة المشرّفة من فواكه وخضر، حيث قال «**وفواكه المدينة في غاية الجودة خصوصا عنبها ورطبها، وأما الخضر فأكثرها وجودا كالجزر والباقلاء والملوخية والبامية والبصل واللّفت والخضر البرية.**»[3] لأنها أرض بركة فقد جعلها الله عز وجل موطن كل خير.

نلاحظ أن الرّحالة لم يفصّل في طرق الزراعة، أو حتى كيفية الري والسقي، فقد تعرض لذكر المزارع والبساتين وأصناف الفواكه والخضر فحسب، ولكن ما عُرف عن العرب قديما وخاصة في بلاد المغرب أنهم كانوا يستخدمون «**الأمطار والعيون والآبار والأودية أي الأنهار والصهاريج.**»[4]

كما عملت بعض القرى على تجميع ماء المطر وتخزينه كما جاء على لسان الرّحالة: «**هي قرية صغيرة وليس بها ماء إلا ماء المطر فلا يشربون ولا يسقون ولا يستسقون إلا منه فتعجبنا منها وفيها ماجن عظيم يجتمع فيه ماء المطر.**»[5]

كما اشتهرت بعض المناطق الصحراوية بتربية الإبل واستعمالها في الحراثة وغيرها: «**أما إبل هذه المنطقة أجود من غيرها لأنها أَلِفت العمل والخدمة الكثيرة، وأنهم يستعملونها في كبير الأعمال حتى الحراثة والدراسة والرَحي.**»[6] ، أما أهل مصر فقد كانوا يستعملون الثيران في الحراثة والأعمال الشّاقة لذلك أَلِفَت إبلهم الراحة وغلب عليها السمن.

3_ التجارة:

تعد التجارة نشاط اقتصادي هام، فقد عرّفها ابن خلدون في مقدّمته بأنها: «**شراء البضائع والسّلع وادّخارها.**»[7]، وقد تعرض الورثيلاني في رحلته لذكر العديد من المدن التجارية وما يُعرض في أسواقها، حيث ذكر مدينة بسكرة «**التي خرج أهلها متسوقين بالبنادق**

[1] _ المصدر السابق، ج1، ص389.
[2] _ المصدر نفسه، ج1، ص426.
[3] _ المصدر نفسه، ج2، ص590.
[4] _ كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والإقتصادية والدينية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مكتبة الإسكندرية، مصر،القاهرة، دط 1996ص 57.
[5] _ الورثيلاني، الرّحلة الورثيلانية، ج2، ص855.
[6] _ المصدر السابق، ج1، ص184.
[7] _ عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ص498.

والحياك والغنم.»[1] وكذلك طرابلس التي يجلب إليها الأعراب كل أصناف السمن واللّحم وغيرها كما جاء على لسانه: «**يجلبون إليها الأعراب الكثير من السمن والزرع واللحم والإبل...**»[2]

لقد عُرفت أسواق طرابلس آنذاك بانخفاض الأسعار، وتجارها ذووا خبرة وأكثر معرفة بالبيع كقول الورثيلاني على لسان الشيخ العياشي صاحب رحلة ماء الموائد :«**قال شيخنا العياشي رحمه الله... تسوقنا طائفة من أهله بما قضينا منه العجب من السمن والغنم والإبل، لم نعهد مثل ذلك ولا رأينا أرخص منه سعرا ولا أقل معرفة بالبيع والشراء من أهله يؤخذ منهم زهاء قنطار من السمن بالثمن التافه.**»[3]

كما شهدت مدينة توزر وفرة في الإنتاج وخاصة التمور، ورخص في الأسعار فقد كانت «**توزر قاعدة البلاد...بها من الثمار مالا يحصى عدده إلا اللّه يرد إليها من الأعراب الآلاف يشتري كل واحد ما يشاء من الثمار وتمرها أجود التمور ومياهها غزيرة وجناتها كثيرة...أعرابها أهل بادية يرخص فيها غالبا سعر السمن واللّحم أما التمر فيها رخيص جدا.**»[4]، فقد كانت توزر مدينة كبيرة بها أسواق كثيرة وأرزاق وفيرة.

أما بلاد النيل فهي أعظم الحضارات وأعرقها، فقد كانت تساق إليها البضائع على اختلافها كقول الرّحالة: «**إلى سوقها تساق أنفس البضائع، من ثمار تجلبها العرب وزلابية كالجبن فإذا قليّت أشبهت الذهب**»[5]، كما عُرِفَتْ ببيع العبيد في سوق النِخَاسَة: «**وقد حُكي لنا أنهم يأتون إلى المستضعفين من الناس فيبيعونهم عبيدا أو يجعلونهم أسرى يخدمون في مدينة السويس إلى أن يموتوا.**»[6]؛ ذلك أن المجتمع المصري في وقت مضى كان يقوم على الطبقية، ومقسّم إلى ثلاث طبقات الملك الفرعون والإله في الوقت ذاته وطبقة الوزراء والنبلاء، وكذلك طبقة العبيد وهي الطبقة الكادحة المضطهدة.

وتحدث الرّحالة عن مكة المشرفة، فقد خصّها اللّه بالبركة في أسواقها ومن ابتاع أو اشترى شيئا من أسواقها حلّت له البركة، فقد قال فيها الورثلاني: «**عمرت الأسواق، وكثرت الإنفاق وُاخرجت البضائع ذوات الأثمان، وصنوف التجارات، وتزاحم الناس على الشراء رجاء بركة ذلك المكان في ذلك الزمان..من اشترى شيئا من منًى وجد بركته فهو**

---

[1] _ الورثيلاني، الرّحلة الورثيلانية، ج1، ص136.
[2] _ المصدر السابق، ج2، ص269.
[3] _ المصدر نفسه، ج2، ص269.
[4] _ المصدر السابق ، ج2، ص156_157.
[5] _ المصدر نفسه، ج1، ص404.
[6] _ المصدر السابق، ج2، ص644.

محل بركة وتشريف.»[1] فقد كان يعرض في أسواقها «**صنوف الخبز والسمن والعسل.»**[2]

لقد قارن الرّحالة بين الجزائر وتونس وطرابلس فوجد أن الحياة الإقتصادية في البلدين الأولين _أي الجزائر وتونس_ أغنى وأخصب، بينما كانت ليبيا تعيش على ما يرد إليها من الخارج وليس فيها من المناطق الخصبة سوى جزء ضئيل.

4_ الصناعة:

تعد الصِّناعة شكلا من أشكال التراث الإنساني، فهي محصّلة ونتاج آلاف السنين، وتفاعل بين المجتمعات وبيئاتهم، وهي رصيد ومخزون لما أنجزته الجماعات عبر العصور من فنون وحرف ميزت هذه الجماعات عن غيرها، فلكل منطقة صناعات خاصة تعرف بها بين بقية المناطق.

قدّم الورثلاني وصفا لمظاهر متعددة من النشاط الإقتصادي، حيث تحدّث عن حرفة إمتهنها أحد الرّجال الصالحين، وهو سيدي محمد بن علي الذي كان ينسج الثياب كما ورد على لسان الرّحالة: «**ارتحلنا لزيارة سيدي محمد بن علي فوجدناه في مرمة له في داره يعمل بيده ينسج الثياب.»**[3] فقد كان يمارس هذه الحرفة ليس لمجرد أنها هواية فحسب بل كان يتكسب منها ويكسي نفسه بما تجود به أنامله.

وقد تحدّث الورثيلاني عن أهل طرابلس الذين كانوا يصنعون آلة للحرب، فقال واصفا طريقة صنعها: «**كانت تُصنع من نحاس وحديد وذهب وفضة وأنواع أخرى من المعادن ويفرغونها على قَدْرِ القِدْرِ المتوسطة المسماة عندنا بالمقلاة ولها يدان مثلها...يأخذون عود الكَلَخِ ويثقبون وسطه ويجعلون فيه فتيلة تخرج من فوقه واسفله ويملؤونها بارودا ومسامير وقطع الحديد وعَقَاقِير...»**[4]، كما اشتهرت كذلك مدينة طرابلس بصناعة الحلويات فقد اقترن اسمها بالحلويات عبر تاريخها، ومازالت محافظة عليه تتوارثه جيلاً بعد جيل.

وكما قيل أن مصر أم الدنيا، فقد تحدث الورثيلاني عن تعدد الأجناس فيها، والتفاوت في الطبقات، وكذلك تعدد الصنائع والحرف، فقال: « **أمر مصر غريب في كل الأصناف والأنواع والأجناس...فأهلها أهل صنائع وحرف فما وردت قوما أو سوقا أو نزاهة إلاّ قلت أهل مصر موجودون فيه...فكل من كان فيه طبع إلا وجد أهل طبعه أو صنعة إلاّ وجد أهل**

---

[1] _ المصدر السابق، ج2، ص489.
[2] _ المصدر السابق، ج2، ص466.
[3] _ المصدر السابق، ج1، ص118.
[4] _ المصدر نفسه، ج1، ص192.

صنعته.»[1] ، فقد كانت مصر في نظر الرّحالة عبرة لأهل البصائر، لأنها ذُكرت في القرآن الكريم، فهي جنة الخير وخيراتها لا تنضب.

5_ البناء:

لقد عرف الإنسان صناعة العمران واتخذ البيوت والمنازل للسكن منذ القديم، منذ أن فكر الإنسان البدائي في اتخاذ الغيران والكهوف ملجأً له يقيه من الحر والبرد ومأمنا له من الوحوش والكوارث الطبيعية وغيرها.

لقد تحدث الورثيلاني في رّحلته عن مناطق كثيرة وعن كيفية البناء في كل منطقة حيث ذكر مدينة بسكرة بقوله: «**بسكرة كثيرة المياه...كانت هذه المدينة عظيمة البنيان، والجامع الأعظم يدل على ذلك فإنه لا نظير له وصومعته ما أحسنها وما أوسعها.**»[2]

إعتبر الرّحالة مدينة توزر أفضل من مدينة بسكرة فقال: «**توزر بناؤها شامخ مستحسن فهي أفضل من بسكرة لأن بناءها بالطوب وهي بناؤها بالآجر والجبس والجير في غاية الإتقان مع طول البنيان إلى العُلو وسعة عرضه...فهي قرية جيّد بناؤها في دور المساجد بخلاف بسكرة فإن حسنها في مسجدها فقط.**»[3]

كما تحدث كذلك عن مدينة تسمى "لَبْدة" فهي مدينة ذات حسن تزدان بعمرانها، وأبراجها حيث قال: «**مدينة يقال لها "لبدة" قد خلت في العصور الأوائل وبقيت آثارها ورسومها قد أكل البحر منها كثيرا وفيها مبان عظيمة، وهياكل جسيمة، وأبراج مبنية بالحجر المنحوت في غاية الإتقان...فترى الأبنية مائلة متقابلة على رؤوس الجبال...وترى أعمدة الرخام واقفة في وسط البحر.**»[4]

أصبحت هذه المدينة قاعدة في صنع الرخام، وكان يُنقل منها الكثير من أعمدة الرخام إلى عديد المناطق كطرابلس ومصر.

أشار الرّحالة إلى صنعة عجيبة وأبنية غريبة في إحدى مدن طرابلس بقوله: «**فيها مبانٍ منحوتة عظيمة تحار فيها العقول، منها أحجار من أربعة أذرع فأكثر منقورة في وسطها نقرا متقنا...**»[5] .

لقد كان أهل طرابلس يبنون بالحجر في غاية الصلابة قريباً من حجر الصوّان، فطرابلس مدينة مأهولة تواصلت الحياة فيها مما لم يمكّنها من الاحتفاظ بكثير من المعالم الأثرية التي تعود للحضارات الفينيقية والرومانية والبيزنطية.

---

[1] _ المصدر السابق، ج2، ص646.
[2] _ المصدرالسابق، ج1، ص115.
[3] _ المصدر السابق،ج1، ص156.
[4] _ المصدر نفسه، ج1، ص223.
[5] _ المصدر السابق، ج1، ص225.

لم يغفل الورثيلاني في حديثه ،عن الإسكندرية وما بها من عجائب ذاكرًا تاريخ هذه المدينة وما بها من حصون فقد «**كانت الإسكندرية سبعة حصون وسبعة خنادق...وأنَّ ذا القرنين لما بناها قد رخمها بالرخام الأبيض على جدرانها وأرضها...فقد كانت بيضاء تضيء بالليل والنهار.**»[1] .

تعجّب الرّحالة من مباني أرض مصر وخاصة منارة الإسكندرية: «**وهي مبنية بحجارة مطلية بالرصاص على قناطر من زجاج والقناطر على ظهر أسطوانات من نحاس وفيها ثلاثمائة بيت بعضها فوق بعض...ولكل بيت نافذة يطل منها إلى البحر.**»[2]

استطاع الرّحالة ان يضعنا في جوّ الرّحلة عن طريق تلك الملاحظات الدقيقة الي امتازت بجمال الوصف ودّقة التصوير.

تحدث الورثيلاني عن مدينة صفاقس واصفًا ما بها من قصور فقال: «**فيها قصر عظيم وبناء جسيم حكيم البنيان متقن الصنعة عريض المتن له أبواب كثيرة طبقة على طبقة واسع المتن طويل البناء.**»[3]

نوّه الرّحالة في رحلته إلى قضية الاهتمام ببناء المساجد وترميمها، حيث لاحظ اختلاف وتفاوت بين المشرق والمغرب، فأهل المشرق لا يزالون يعتنون ببناء المساجد على عكس أهل المغرب ،فقال: «**لم يزل أهل المشرق إلى الآن لهم فضل الاعتناء ببناء المساجد ويبالغون في تعظيمها ويتأنقون في ذلك ويبادرون إلى إصلاح ما فيها...أما أهل المغرب فلا تكاد ترى في مدائنهم مسجدا عظيما بل ولا مهدما قد جدد أو واهيا قد أُصلح...حتى المسجد المبني بالرخام إذا أصابه عطل ما فيعاد بآجر وجص وإن كان مجصّصا أن يعاد بالطين، حيث تجد المسجد كأنه مرقعة فقير فيه من كل لون رقعة.**»[4] ، فما رآه الرّحالة في المغرب من عدم تعظيم لشعائر اللّه جعله يتساءل عن سبب ما أصاب المغرب من وهن وإهمال.

أشار الورثيلاني إلى منطقة تدعى "تورغا" توجد أول برقة كان أهلها يسكنون في الطبيعة ويبنون الأخصاص*، حيث قال: »**أهل تورغا وهي بلدة منقطعة أول برقة، يسكنون في الأخصاص ولا يبنون بالطين إلا مواضع الخزين يبنونها بالطين والأحجار يحفرون عليها فيستخرجونها بنحت الأرض...وبناؤهم لا يكاد ينهدم.**»[5]

ومنه: فالإنسان في حاجة ماسة لملجأ يحميه وبناء يقيه من كل ما يؤذيه، فمفهوم البناء واحد لكن ثقافته مختلفة من شعب لآخر.

6 _العلوم والآداب:

---

[1] _ المصدر السابق، ج2، ص649.
[2] _ المصدر السابق، ج2، ص651.
[3] _ المصدر نفسه، ج2، ص757.
[4] _ المصدر السابق، ج1، ص319.
[*] _ الأخصاص: ج م خُص: وهو البيت المبني بالقصب وسقفه بنبات الديس.
[5] _ الورثيلاني، الرّحلة الورثلانية، ج1، ص260.

إن الإنسان في حاجة للعلوم كحاجته للأكل واللّباس والسكن، فبها يعظم شأنه ويرقى فكره ويدرك ما يجهل لأن الإنسان عدو لما جهل، وعلى حدّ قول أبن خلدون في مقدّمته «**في أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة.**»[1]، والسبب في ذلك أن تعليم العلوم يكثر ويزدهر في البلدان بنسبة عمرانها في الكثرة والقلة، الحضارة والترف على عكس القرى غير المتمدّنة التي عانت ندرة العلوم، فتوجب على ساكني هذه القرى شد الرّحال في طلب العلم، كما شهدت بعض البلدان كبغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة في صدر الإسلام توافدا كبيرا لشعوب من كل البقاع، فقد زخرت فيها بحار العلم وعظُمت بها الحضارة، وتفننوا في أصناف العلوم ومختلف المسائل والفنون.

وعليه فالورثيلاني في رّحلته لم يُغفل مسألة التفاوت في العلوم من بلد لآخر، حيث استهل حديثه عن مدينة بجاية، فقد قال على لسان أحد الصالحين : «**دخلت بجاية في القرن الثامن فوجدت العلم ينبع من صدور رجالها كالماء الذي ينبع من حيطانها.**»[2]، ففضلها مشهور وعلم أهلها مذكور في كل العلوم.

وقد تحدّث عن بعض العلوم التي نبعت عن أولياء مدينة بسكرة بقوله: «**كلام الأولياء مقبول... فإنهم مشتغلون بالنحو والفقه* والحديث.. في حين ينعدم علم الكلام* والمنطق* وعلم التوحيد***»[3] ؛ فهم من أتباع المذهب المالكي، وهذا الأخير هو أسهل المذاهب ولا يحتاج إلى إعمال للعقل أو بحث في الغيبيات على غرار المذاهب الأخرى.

ومن العلوم التي برز فيها أهل بسكرة وخاصة السيد الفاضل أحمد التليلي الذي نبغ في كل العلوم فقد: «**كان واحد عصره وفريد زمانه في العلوم الظاهرة وكذا الحقائق ومثله علم الأوقاف فإنه لا نظير له.**»[4]

كما نبغ البعض في العلوم العقلية والحساب، على حد قول الرّحالة : «**الإمام القيلوبي هذا هو أبو العباس أحمد بن سلامة الفقيه المحدث أحد رؤساء العلماء جامعا للعلوم الشرعية متضلعا من العلوم العقلية وكذا معرفته بالحساب.**»[5] ، ومنهم من كان يبحث في علم

---

[1] _ عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ص548.

[2] _ الورثيلاني، الرّحلة الورثيلانية، ج1، ص43.

** _ الفقه: هو معرفة أحكام الله في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر، وهي مستقاة من الكتاب والسنة لمعرفة الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه.

** _ علم الكلام: هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الإعتقادات عن مذاهب السّلف وأهل السّنة.

** _ علم المنطق: هو قوانين يُعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة، فهو إدراك الشيء على ما هو عليه.

** _ علم التوحيد: هو العلم الذي يبحث في الإلهيات كذات الله وصفاته وأفعاله، كما يبحث في النبوّات كعصمة الأنبياء، والسمعيات كالجنة والنار.

[3] _ الورثيلاني، الرّحلة الورثيلانية، ج1، ص156.

[4] _ المصدر نفسه، ج1، ص153.

[5] _ المصدر السابق، ج1، ص305.

الكيمياء وسر الحروف «**الشيخ عبد الرؤوف نقيب كسوة الكعبة المشرفة...بل كثيرا ما يبحث في علم الكيمياء وسر الحروف**»[1]، في حين كان عبد الله المأمون «**فقيها عالما لاسيما علم النجوم* فإنه لا نظير له فيه.**»[2]

لاحظ الورثيلاني أن أهل مصر لا اشتغال لهم إلاّ بعلم المنطق لقوله: «**وما اشتغال أهل مصر إلاّ بعلم المنطق.**»[3] .

لقد افتقدت بعض المناطق للعلم و التعليم على حدّ قول الرّحالة :«**أما طرابلس فقد ضاقت على أهلها المعيشة.. فقد انعدم التدريس للعلم في طرابلس وقل الإشتغال به.**»[4] بسبب ضعف البلاد وعجزها عن الإنفاق في سبيل العلم، فهذا الأخير يزيد بالإنفاق وينقص بل وينعدم بعدمه، لهذا لجأ أهل طرابلس إلى مصر وتونس لطلب العلم.

وقد تحدث الرّحالة عن بعض المتصوّفة والزهاد الحافظين للأوراد في مدينة تونس بقوله «**ومنهم صاحب الأوراد ذو الفضل والمدد والأمداد سيدي أحمد الباهين.**»[5] وكذلك «**الشيخ المحقق والعلامة المدقق الفقيه الأصولي النحوي المنطقي، المفسّر العروضي ذو الفضائل المتصوف الزاهد المتخلي عن الدنيا الشاكر لفقدانها المشتغل بالله المقبل عليه...سيدي عبد الله السويسي.**»[6]

أشار الورثيلاني إلى قضية غياب علم التاريخ في الجزائر، فهم يرونه أضحوكة ويحسبونه كالاستهزاء، وهو علم لا منفعة تُرجى منه: «**لاسيما أهل بلادنا فإن علم التاريخ منعدم فيهم وساقط عندهم، فيحسبونه كالاستهزاء أو اشتغالا بما لا يعني أو من المضحكة المنهي عنها.**»[7].

ولأن مصر مهبط معظم الأنبياء والرسل فقد برز فيها علم السير* بقوله: «**فإن علم السير إنما هو منه أي سير الأنبياء وشمائلهم ووقائعهم وبعوثهم...**»[8]

إضافة إلى هذه العلوم فقد تحدث الورثيلاني عن النحو والأدب والشعر، فقد كان طلبة الشيخ سيدي ناجي يعتنون بالنحو، كما قال فيهم الرّحالة: «**طلبة العلم وفضلاء الوقت فإن النحو عندهم يعتني به الكبير والصغير، حتى أنهم اشتهروا به اشتهارا بيّنا**»[9]، ومنهم من

---

[1] _ المصدر السابق، ج1، ص313.

[**] _ علم النجوم: هو علم بأصول تعرف بها أحوال الشمس والقمر وغيرهما ، يعرف به الاستدلال على حوادث علم الكون وأوضاع الأفلاك والكواكب.

[2] _ الورثيلاني، الرّحلة الورثيلانية، ج1، ص313.

[3] _ المصدر نفسه، ج2، ص716.

[4] _ المصدر نفسه، ج2، ص716.

[5] _ المصدر السابق، ج2، ص762.

[6] _ المصدر نفسه، ج2، ص768.

[7] _ المصدر السابق، ج2، ص689.

[**] _ علم السير: هو إحدى أصناف العلوم الإنسانية التي تهتم بحياة الأشخاص والأعمال التي قاموا بها.

[8] _ المصدر السابق، ج2، ص689.

[9] - المصدر السابق ،ج1، ص156.

كان مولعا بنظم الشعر وملما بعلوم عديدة منهم الشيخ سيدي عبد الرحمن الأخضري، الذي **«نظم قصائد عديدة في التصوف وله قصيدة في علم الفلك وعلم الفرائض والحساب نظما في غاية الحسن»**[1]، وكذلك الفقيه الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الله الطرابلسي **«كان من أعلم زمانه بجميع العلوم كلاما وفقها ونحوا ولغة وعروضا ونظما ونثرا، له تآليف جليلة وأسئلة مفيدة في الفقه وغيره.»**[2]

كما كان من بينهم حفظةً للشعر أمثال سيدي أحمد الشريف كقول الرّحالة: **«الفقيه الفاضل النحوي المتكلم المنطقي الحافظ لكل شيء لاسيما الشعر سيدي أحمد الشريف.»**[3]

لاحظ الورثيلاني أن علم الكيمياء أصبح عملا يهرب منه العلماء بعد أن كان محببا في عصر الازدهار العلمي ، فلم يستعمل الرّحالة هذا العلم كما أنه لم يكن يستعمل أسرار الحروف والأوقاف، وهو هنا ينفي ذلك لأن غيره كان يلجأ إليها طلبا لفائدتها العاجلة أو الآجلة، أي أنهم كانوا يمارسون بها نوعا من السحر وليس علما.

لقد تعجب الرّحالة حين وجد نقيب كسوة الكعبة في مصر يتعاطى علم الكيمياء، كما أن النقيب قد تعجب من أن الورثيلاني لا يستعمل العلم المذكور، كما ورد في الرّحلة : **«ومن أكرمنا بهذه الديار واستدعانا لمنزله الشيخ عبد الرؤوف نقيب كسوة الكعبة المشرفة..كان كثيرا ما يبحث عن علم الكيمياء وسر الحروف ليستعين به على ما هو بصدده وحسبنا أن تتعاطى من ذلك شيئا..»**[4] ؛ لأن الرّحالة رجل دين كان ينأى بنفسه عن هذا العلم لأنه في نظره نوعا من السحر، لذلك تعجب نقيب كسوة الكعبة من عدم اهتمام الرّحالة بهذا العلم.

ومنه فعلم الكيمياء لم يعد في الجزائر سوى صناعة ماء الورد بعد أن كان محببا عند العلماء المسلمين الأوائل.

أما طريقة التدريس فقد كانوا يلقون الدروس في المساجد والزوايا والكتاتيب، فمن « **عادة المدرسين بالمدينة تعطيل القراءة في المكاتب والتدريس يوم الثلاثاء ويوم الجمعة ويقرؤون فيما سوى.»**[5]

نستنتج أن أهل المدينة كانوا يلقون الدروس في المكاتب، وقد خالفوا عادة أهل المغرب الذين كان يوم عطلتهم الخميس والجمعة.

أما في الجزائر وخاصة في العهد العثماني **«فلم تخرج المؤسسات الثقافية عن المسجد والمدرسة والزاوية والمكتبة»**[6]، فقد كانت مخصصة للتعليم كما هي مخصصة للعبادة.

---

[1] _ المصدر السابق، ج1، ص116.
[2] _ المصدر نفسه، ج1، ص203.
[3] _ المصدر نفسه، ج2، ص697.
[4] _ المصدر السابق، ج1، ص313.
[5] _ المصدر نفسه، ج2، ص586.
[6] _ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص227.

لم يتحدث الرّحالة عن فن مسرحي أو صحافة، لأن الجزائر لم تعرف في هذا العهد المسرح، ولكن وجد ما يشبهه كالقراقوز وحلقات المداحين وغيرها، أما الصحافة فلم يكن لها وجود قبل العهد الفرنسي وكذلك الترجمة.

لاحظ الورثيلاني فرق في التعليم بين الذكر والأنثى في العهد العثماني، فقد كان تعليم البنات أقل انتشارا إلى أن انقضى عهد العثمانيين وعمّ الجهل، لأن المحتل الفرنسي قد اتبع سياسة تجهيل الجزائريين فلا ننتظر منهم أن يخصوا البنات بالتعليم دون البنين أو يساووا بينهم.

ومنه فالحكم على ازدهار الحياة الثقافية في عصر من العصور يقوم على تقدم العلوم والفنون فيه لهذا لاحظ الرّحالة تباينا واختلافا في درجة العلوم من منطقة لأخرى، فقد رأى في الجزائر مثلا أنها شهدت خلال العهد العثماني تراجعا في هذه الناحية ، ولعل خير دليل على ذلك الرّحلة التي بين أيدينا فقد عكست مدى ضعف الإبداع الأدبي في تلك الفترة من خلال توظيفه للسجع ومختلف المحسنات البديعية، ما جعله وفيا لروح عصره عصر الصنعة اللفظية، وهو العصر الذي اهتم فيه الأدباء بالبديع اهتمامًا مبالغًا فيه.

كان العلم ولايزال الأساس الحقيقي لكل ثقافة ولأي تقدم في المجتمع الإنساني، وقد تعددت طرائق التعليم ومؤسساته من كتاتيب ومساجد ومدارس وزوايا من منطقة إلى أخرى.

7_ الحكم والسلطة:

تعتبر السلطة النظام الذي يتولى أمور الرّعية، فهي توجيه لسلوك مجموعة من الأشخاص، وفقا لتطبيقات وأحكام وجب احترامها والخضوع لها، وقد تكون سلطة عادلة كما يمكن أن تكون سلطة غير مشروعة إذ استخدمت الإكراه والعنف.

لقد تحدث الورثيلاني عن بعض المناطق مبيّنا طريقة الحكم بها، فنجده قد استنكر طريقة الحكم العثماني طيلة وجوده في أرض الجزائر فقد «**شهدت في عهده قلة العلم... وانتشار الظلم**».[1]

كذلك حديثه عن مدينة بسكرة التي عانت ظلم الأتراك وجور الأعراب فحوّلوا بيض أيامها إلى أحلك من الليالي المظلمات، واستغلوا خيراتها، وهدموا بنيانها، كما جاء على لسانه «**اجتمع عليها أمران ظلم الأتراك وجور الأعراب، فكانت بينهما كالكرة في أيدي الصبيان...فهي الآن لا حمام فيها ولا سوق استولوا عليها الأتراك استيلاء عظيما.**»[2] فقد تمردوا وطغوا وأنزلوا بأهلها الظلم والعدوان، ولم يقتصر هذا العدوان على مدينة بسكرة فحسب، بل شهدت ذلك مدينة توزر أيضا على حد قول الرّحالة: « **قد كثر جور الأتراك بهذه البلاد وشاع بها الظلم والفساد...**»[3]

---

[1] _ شوقي ضيف، الرّحلات، ص398.
[2] _ الورثيلاني، الرّحلة الورثيلانية، ج2، ص142.
[3] _ المصدر السابق، ج1، ص157.

أشار الرّحالة إلى سلطان تونس الذي اشتغل باللهو واللعب ونهب أموال المسلمين واستغلهم وأن « **الفجور والمعاصي والظلم والعناد إذا ظهر في تونس ابتلاهم الله بعذاب يعم جميعهم حسبما وقع ذلك بالباشا أعني علي باي حتى صار النهب والسلب والقتل والفتك في ديار تونس.. والسبب في ذلك أن السلطان وأهل حضرته اشتغلوا باللهو واللعب وصرفوا أموال المسلمين في شهواتهم المحرّمة...**»[1]

تحدث كذلك عن مدينة "درنة" الموجودة في مصر فقد تجبروا وطغوا واشتغلوا بالفساد ولم يكونوا تحت حكم أحد فقد «**بنوا وسكنوا واستقلوا بأنفسهم ولم يكونوا تحت حكم أحد..اشتغلوا بالفساد ومدوا أيديهم إلى عمالة طرابلس في زمان عثمان باشا..**»[2] وبالطبع فأهل طرابلس وجّهوا لهم عسكرا وقاتلوهم واستولوا على البلدة.

وصف الرّحالة مدينة قسنطينة على أنها مدينة قوية تخضع لحكم السلطان أو خليفته الباي، كما جاء على لسان الرّحالة: « **قسنطينة هي مدينة في وطننا وقاعدة من قواعد بلادنا وإن لم يكن فيها السلطان فقيها نائبة السيد الباي.**»[3] فقد كانت هذه المدينة عظيمة بسلطانها وقوية بعساكرها « **فيها قصبة عظيمة وعسكر من الترك بقدر حالها، وباي سطوته عظيمة وحاله كبير وعساكره كثيرة.**»[4]

لقد صوّر الرّحالة مدينة قسنطينة بأبهى حلّة تميّزت بالرخاء والثراء، وجمال طبيعتها وعظمة ملوكها، وقوة جيوشها وعساكرها.

ثانيا_ المضامين الأنثروبولوجية الثقافية:

[1] _ المصدر السابق، ج2، ص789.
[2] _ المصدر السابق، ج2، ص703.
[3] _ المصدر نفسه، ج2، ص791.
[4] _ المصدر نفسه، ص ن.

تمثل كلمة ثقافة في معناها التقليدي ذلك النتاج الأدبي والفكري والفني، أما في معناها الأنثروبولوجي فهي أنماط السلوك المادية والمعنوية السائدة في المجتمع وتميّزه عن غيره من المجتمعات، وعليه سنحاول في هذا الباب استخراج أهم المضامين الثقافية التي اشتملت عليها الرّحلة.

1_ المعتقدات:

تعتبر المعتقدات جزءا هاما في حياة الإنسان، فهي مجمل «**ما يؤمن به الشعب... فيما يتعلق بالعالم الخارجي، والعالم فوق الطبيعي... فهي تبحث في تصورات الناس عن بعض الظواهر الطبيعية والنفسية.**»[1]

نستنتج من هذا القول أن المعتقدات ترتبط بأفكار الناس فيما يتعلق بالكون وما وراء الطبيعة فهي محاولة لتفسير عقلية الإنسان للأمور الخفية، وقد عالجت المعتقدات عدة مواضيع تعلقت بالأولياء كراماتهم، والطب والسحر وغيرها.

أ_ الإعتقاد ببركة الأولياء الصالحين وكراماتهم:

إن الولي هو الشخص العارف بالله و الحريص والمواظب على الطاعة المتجنب للمعاصي المتجرد من الدنيا وملذاتها، ومنه فالولاية هي درجة عليا تنجم عن كثرة المجاهدة والمكابدة والتي تجعل صاحبها في حماية الله وتحت جناحه، كما جاء في قوله عز وجل: **(أَلاَ إِنَّ أَولِيَاءَ اللهِ لاَ خَوفٌ عَلَيْهِم وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون)**.[2]

نستنتج من قوله عز وجل أنه خصّ أولياؤه الصالحين بمكانة لم يحض بها غيرهم، وهناك من الشعوب من تؤمن بهم إيمانا جازما وتعتبرهم واسطة للتقرب من الله عز وجل، فهم يقيمون الولائم في حضرتهم ويقدّمون القرابين ويذكرون أسماءهم في الدعاء كقولهم: يا الله ببركة سيدي فلان.

وقد نتج عن أولياء الله الصالحين معجزات أو بالأحرى كرامات، لأن المعجزة تنسب للأنبياء والرسل، أما الكرامة فهي قصة مقدسة أو قصة البركة التي تعتبر قوة دينية خفية لا يكتسبها إلا أولياء الله.

ومنه « **فالكرامة ترتبط بالمعتقدات الدينية، ترصد ما جرى من معجزات وما حصل عند نشوء الاحتفالات والطقوس والعبادات**»[3]، فهي موجودة كالأسطورة في كل العالم لكنها أشد فعالية وتأثيرا في الأمة العربية لأنهم يعتبرون الولي الصالح سلما يرتقون به للوصول إلى الله عز وجل.

---

[1] _ ياسمينة شرابي، الموروث الثقافي في أدب الرّحلة الجزائري "نماذج رحلات القرن العشرين"، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة أكلي محمد أولحاج البويرة، 2012_2013، ص15.

[2] _ سورة يونس، الآية :62.

[3] _ علي زيعور، الكرامة الصوفية والأسطورة والعلم، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ط2، 2003، ص19.

لقد ظهر جليًا مدى إيمان الورثيلاني بالأولياء ومدى تأثرهم بكراماتهم من خلال حديثه عنهم وزيارته لهم قبل العزم في شد رحال السفر، طالبا منهم البركة والسداد في أموره، لذلك ذكر لنا ثلة من رجال الله الصالحين الذين زارهم كما جاء على لسانه : «**وقد دخلت طولقة فاجتمعت بها مع أفضل العلماء، وزرنا أيضا الشيخ المذكور والولي المشهود سيدي عبد الرحمن الأخضري في قريته...**»[1] ، واصل الورثيلاني ذكره للأولياء كسيدي خالد والشيخ الغوث في المسيلة وغيرهم، فقد زار الأحياء منهم والأموات.

لقد نشأ الرّحالة نشأة فقيرة أساسها التقشف الصوفي، وقد شبّ وأخذ العلوم من مختلف الزوايا هذا ما جعله يتربى على حب الأولياء، فلم يترك وليا أو عالما إلاّ زاره من شرق الجزائر إلى غربها ، فكان يتوقف عند كل ولي سمع به ليزوره، كما جاء على لسانه «**ومررنا على قبر الشيخ الولي الصالح والقطب الواضح سيدي يحي العيدلي نفعنا الله به آمين.**»[2]

زار الرّحالة أولياء من كل بلد «**ومدة إقامتنا في طرابلس مشتغلين بزيارة الأحياء منهم والأموات، فقد زرناهم في قبورهم كالولي الصالح سيدي محمد بن سعيد..**»[3] وكذلك أولياء الله بتونس حيث قال فيهم : «**إن الأولياء في تونس كالنجوم الأموات والأحياء، وقد زرنا من يعتد بزيارته كالشيخ محرز بن خلف والشيخ المرجاني**»[4]وغيرهم ممن عكف الرّحالة على زيارتهم والتبرّك بهم.

وقد ذكر الرّحالة أولياء مدينة قسنطينة بقوله: «**ثم إني لم أهمل الأموات وأني قصدت جميعهم في كل وطن مشيته وكل بلد إلاّ أن قسنطينة كل مسجد فيها إلاّ وفيه شيخ ولي صالح دفن بالمسجد وينسب إليه، ويقال مسجد فلان كسيدي أحمد بن عيسى.**»[5]

رأى الرّحالة أن كل مزارا أو زاوية أو ضريح بوابة لولوج ذكرى الصالحين، وأخذ العبرة منهم، فقد كان يزور الأضرحة والزوايا ويدعو لأهلها بالمغفرة سائلا الله عدم الحرمان من بركاتهم وكراماتهم، فتأججت بهذا العواطف الدّينية لدى الرّحالة بزيارته لأولياء الله داخل الجزائر وخارجها.

إذن فزيارة الأماكن المقدسة كالزوايا وأضرحة الأولياء، أصبحت عادة اجتماعية أخذت طابع الضرورة لدى بعض المجتمعات، وهذا ما نستشفه من هذه الرّحلة فقد مثّلت حياة الفرد الجزائري في فترة معيّنة كان فيها الإعتقاد والتصديق بمكانة الأولياء الصالحين، وأصبحت هذه العادة نوعا من الإنتماء، وتأكيدا على احترام تقاليد وقوانين المجتمع.

---

[1] _ الورثيلاني، الرّحلة الورثيلانية، ج1، ص16.
[2] _ المصدر السابق، ج1، ص19.
[3] _ المصدر نفسه، ج2، ص770.
[4] _ المصدر نفسه، ج2، ص770.
[5] _ المصدر نفسه، ج2، ص800.

لقد تحدث الورثيلاني عن كرامات بعض الأولياء الذين زارهم، وهذا ما حكاه بموت الخيل لقوم تعدوا على زرع سيدي الشيخ العيدلي بقوله: « **ظهر أمر الشيخ بيّنا بحيث أن من تعدى عليه هلك، وقد كان له زرع وبات فيه جماعة من الناس بخيلهم من غير علم أن الزرع للشيخ، فلما أصبح الله بخير الصباح مات جميع خيلهم وحملوا سروجهم على أعناقهم.**»[1]

نلاحظ من خلال هذا القول أن الورثيلاني في أثناء حديثه عن كرامات الأولياء عمد إلى تسجيل تدخل الغيب في حياة الآخرين لإثبات كراماتهم؛ فقد حظر الغيبي بطريقة مبالغ فيها، حتى أصبح شيئا متجاوزا للكرامة قريبا في معناه من المعجزة، حيث تحدث عن كرامات سيدي مزيان أنه لا يفعل شيئا حتى يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم «**فله كرامات مشهورة وهي أنه أتاه فقير في أيام الحج فقال له والله أن أحج في هذه الأيام فلما ألح على الشيخ وذلك في زمان الخريف أعطى له عنقودا فكمل أكله في مكة المشرفة ثم لما كمل حجه وجد نفسه في داره.**»[2]

وكذلك حديثه عن كرامات سيدي يحي بقوله: «**ومن كرامات سيدي أنه لما بنى مسجده المعلوم اختلفوا في القبلة، فقال الشيخ سيدي يحي لجبل فوق قريته انخفض فانخفض فتبيّنت لهم الكعبة ورآها كل من كان هناك**»[3]، وهذا الكلام يحيلنا إلى أن البركة هي قوة خفية أشبه ما تكون بالسحر.

إن هذه الكرامات تتواصل حتى بعد موت الأولياء، ويذكر الورثلاني حكاية الشيخ سيدي أبو علي المسيلي أن من كراماته بعد موته «**أن شخصا من تونس له صديق في بجاية مات يراه دائما في النوم يُعذّب، ولما مات أبو علي المسيلي رآه في نعيم وسرور وسأله عن السبب وكان مدفونا في جبل خليفة فقال له لما مات الشيخ غفر الله لمن كان بين أطراف المدينة من قبره إلى الجبل ضيافة له وهدية نفعنا الله آمين.**»[4]

وقد استحضر الورثيلاني كراماته عند حديثه عن الركب الجزائري لأنه أراد تطبيق حدود الله على أهل عامر كما جاء على لسانه «**أما الركب الجزائري فلا حكم عندهم أصلا ولا يقفون عند الأمر والنهي، لاسيما أهل عامر... فقد أصابتني منهم عداوة عظيمة من أجل أني آمرهم بالسنة والقيام بالأحكام الشرعية.. فأردت إقامة الحد عليهم وعلى أزواجهم غير أن من عاداني منهم ببركة السنة لم يرجع إلى بيته... وهلك من هلك منهم والحمد لله.**»[5] فقد كان الرّحالة رجل دين وعالم وفقيه وولي صالح مجاب الدعوة.

تحدث الورثيلاني كذلك عن الخوارق التي امتازت بها كرامات الأولياء ومنه حديثه عن

---

[1] _ المصدر السابق، ج1، ص21.
[2] _ المصدر نفسه، ج1، ص29.
[3] _ المصدر نفسه، ج1، ص20.
[4] _ المصدر السابق، ج1، ص41.
[5] _ المصدر نفسه، ج2، ص622.

سيدي الهادي وفرسه، بقوله: «**ركب فرسه وهي طويلة جدا وهو رجل طويل بلغ فيه الغاية وخرج من باب صغير لا يخرج منه الطفل المراهق**»[1]، حيث تجلى عنصر الخارق في قدرة هذا الولي على فعل أشياء محيّرة ومدهشة كخروجه رفقة فرسه من باب لا يخرج منه طفل.

وكذلك من خوارق الأولياء أنهم كلموا الجماد كما فعل سيدي يحي العيدلي عندما تحدّث مع الجبل وأمره بأن ينخفض فانخفض، وكذلك قدرتهم على شفاء المرضى، كما جاء على لسان الرّحالة: «**الولي ذو البركة الظاهرة والخوارق الباهرة سيدي عيسى بن محمد... كل من أتى إليه قد مسح على عين الأعور فرجعت أحسن من قبل.**»[2]

ومنهم من كانت له خوارق أشبه ما تكون بإحياء الموتى، كما أخبرنا الرّحالة عن كرامات سيدي يحي العيدلي عند رجوعه من سياحته، بقوله: «**لما رجع من سياحته... وجد أهل قريته أخذوا ثورا فقسموه ولم يجعلوا نصيبا لأمه من غير اكتراث بها، فلما علم بذلك وجد أن اللحم لم يبق منه شيئا إلاّ الجلد والرأس.. فأمسك الجلد من الذيل وقال له قم بإذن الله فقام وهنا ظهر أمر الشيخ.**»[3]

ولأن الورثيلاني تربى على حب الأولياء، نجده قد تعلق قلبه بهم وعكف على زيارتهم في كل بلدة يمر بها أو يحط رحاله فيها، ذاكرا كراماتهم وما ميّزها من غريب وعجيب وخارق فقد كان الرّحالة نموذجا من حياة الجزائر في فترة معينة ساد فيها الإيمان والتصديق الجازم بوجود الأولياء وكراماتهم.

2_ الدّين:

يعتبر الدّين أساس الحياة، فبه تستقيم حياة الشعوب ويصلح حالهم، ولأن الإسلام دين اعتدال يدعو أهله إلى البعد عن الإفراط والتفريط، وأن ينتهجوا نهجا وسطا في سلوكهم الحياتي، وأن يوازنوا بين دنياهم وآخرتهم.

كان مفهوم الدّين في نظر الرّحالة الذين اكتشفوا العالم بأنه «**مجموعة من العبادات والعقائد والمواقف العقلية والطقسية والإيمانية، توجه مفاهيم تتعلق بالعالم الآخر.**»[4]

إذن فهو مجموعة من الأسانيد والقوانين التي تتضمن النهي والأمر، وكذلك أسلوب الترهيب والترغيب وغيرها.

لاحظ الورثيلاني «**تغييرًا في ظروف المجتمع الإسلامي وأحواله، أدت إلى ابتعاد بعض**

---

[1] _ المصدر السابق، ج1، ص24.
[2] _ المصدر نفسه، ج1، ص26.
[3] _ المصدر السابق، ج1، ص21.
[4] _ كلود رفيير، الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان، تر: أسامة نبيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة مصر، ط1، 2015، ص32.

المسلمين عن الإعتدال المشروع وإلى تكالبهم على ملذات الدنيا»[1]، من سفك للدماء وأكلٍ للأموال والميراث وغيرها من الصفات التي رصدها الرّحالة في أثناء تجواله في أرض الله الواسعة، حيث تحدث عن أهل زمورة قائلا: «**حاصله أهل هذه البلدة متصوفون بالبدع الشنيعة والأحوال الخسيسة من الرذائل المنهي عنها شرعا وزادوا مع ذلك أنهم لا تأخذهم الأحكام إذ يأكلون التراث أكلا لما ويحبون المال حبا جما...متمسكين بالعوائد المحدثة وأحكام الطاغوت والله يقول والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات.**»[2]

ذكر الرّحالة بعض المجتمعات الي لا دين لها كالبربر بقوله: «**ليس أمامك إلاّ البربر...ليس لهم دين يأكلون الميتة ويشربون الدم وهم أمثال البهائم يكفرون بالله ولا يعرفونه.**»[3]

كما أشار الورثيلاني إلى بعض المناطق التي فسد فيهم الدين، بقوله: «**أما ممن فسدت عقائدهم كأهل العراق وأكثر اليمن والهند وأما ممن ضعفت عزائمهم عن إقامة شعائر الإسلام كالمغرب وأما ممن استولت عليهم الدنيا كمصر.**»[4]

نستنتج مما سبق أنَّ درجة التديّن قد تفاوتت من منطقة لأخرى، فمنهم من نحلت من العبادة أبدانهم واصفرّت ألوانهم، ومنهم من كان على فسق وفجور كالبربر المتمسكين بمذهب الخوارج الذين استحلوا دماء المسلمين وأموالهم.

وفي هذا الصدد ذكر الورثيلاني بعض الطوائف والفرق الإسلامية كالروافض، فقد نشأت هذه الفرقة عند ظهور رجل يهودي من اليمن اسمه "عبد الله بن سبأ"، ادعى الإسلام وزعم محبة آل البيت، وغالى في علي _رضي الله عنه_ وادّعى له الوصية بالخلافة، ثم رفعه إلى مرتبة الألوهية، فهم يتبرؤون من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، ويسبونهم وينتقصونهم، وقد تحدث عن هذه الفرقة ولقائه بهم في مكة المكرمة، فقال: «**ولما خرجت الطائفة المذكورة "أي الرافضة"، من المشهد وجاءوا إلى البئر الخارجة وقفوا عليها ودعوا، وقد لقينا العجب من حمقهم وقبح اعتقادهم في آل البيت**»[5]، وما جعله يستحسن عدم دخول هؤلاء الروافض بجنائزهم إلى المسجد النبوي فقال: «**فحق من يبغض ضجيعي الرسول _صلى الله عليه وسلم_ ورفيقه في المحيا والممات أن يبعد حماه حيا وميتا.**»[6]

---

[1] _ محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس هجري، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، دط، 1993، ص3.

[2] _ الورثيلاني، الرّحلة الورثيلانية، ج2، ص808.

[3] _ المصدر السابق، ج1، ص126.

[4] _ المصدر نفسه، ج2، ص583.

[5] _ المصدر السابق، ج2، ص538.

[6] _ المصدر نفسه، ج2، ص588.

أما الخوارج فقد ارتبطوا على مدى تاريخهم بالمغالاة في معتقداتهم الدينية وبالتكفير والتطرف، وسبب تسميتهم بالخوارج لأنهم خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب.

لقد ذم الورثيلاني مذهبهم ووصفه بالفساد، منهم المتواجدون على الساحل بين طرابلس وقابس وأغلبهم من البربر فأصحاب «**هذا المذهب المذموم، يتقربون ببيع من يجتازهم من المسلمين إلى الروم**»[1]، ولا يكف الرّحالة يبيّن مواطن الفساد في مذهبهم في ذكره للأحكام الشرعية.

إذن فالورثيلاني السّني المذهب، قد ذم كلا من الخوارج والروافض ورأى فيهم آخرا خارجا عن مجال معتقده، فقد نبذ معتقدهم الذي وصل إلى حد الكفر، كما تدل مفردات نصه الذي صرّح فيه بالصراع الواقع بين الشيعة والسنة والخوارج.

لقد تحدث في رحلته عن قضية السماع "أي الموسيقى" فقد رأى أن «**السماع ورطة لأهل النفوس والشهوات**»[2]، واعتبره مرقاة الزنى وينبت النفاق في القلب، خصوصا إذا صاحبته آلات موسيقية وجلسات نسائية وخمور، أصبح فتنة ومدعاة للشياطين، كما كان في عصر الجاهلية النسوة تغنين وترقصن « **وتحركن أجسادهن بحركات رشيقة مع هز البطن والأرداف والتلاعب بالأذرع والتمايل ذات اليمين وذات الشمال.**»[3]

هذا النوع من الرقص يعتمد على الإثارة الجنسية، وهو بالطبع خارجًا عن نطاق الأخلاق العامة وتعاليم ديننا الحنيف وهذا النوع من الرقص قد رفضه العلماء والمتصوّفة.

انكب أبناء الطوائف على السماع بالدفوف « **فهي آلات موسيقية من جلد موجودة منذ الجاهلية فقد كان يستعملها الشعراء في غناء أشعارهم**»[4]، والمزامير وغيرها، فقد اتخذوا في ذلك صراطا مستقيما واتبعوا فيه شيطانا رجيما ونبذوا السنة وراء ظهورهم فصاروا مسخرة الشياطين.

فاستعمال هذه الآلات الملهية والأصوات الحسنة جعل من الغناء والسماع نوعا من الإبتداع ما جعل العلماء يحذرون منه، فهو يوقع في المعاصي كقول الرّحالة: «**مما يجب التنبه إليه إجتماع النساء والرجال في مدينة طرابلس.. في الواقع ما اتخذوا ذلك إلا للتوصل للزنى،.. لأنهم فساق فلما تعذر الوصول إلى الشر من بابه اتخذوا سلما يرقون به وهو السماع ليصلوا إلى أغراضهم الفاسدة ويتجردون للزنى.**»[5]

نستنتج من هذا القول ،أنه يرى السماع طريق لا يسلكه إلاّ من كانت أخلاقه فاسدة، فهو يوقع في المعاصي كالزنى.

---

[1] _ المصدر السابق، ج2، ص745.
[2] _ المصدر نفسه، ج1، ص235.
[3] _ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص445.
[4] _ مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط2، 1980 ص169.
[5] _ الورثيلاني، الرّحلة الورثيلانية، ج1، ص237.

لقد أجاز الرّحالة السماع في حالة ما إذا اشتمل على أغاني وأشعار دينية غرضها النصح أو سماع الإنشاد الذي يحرّك المشاعر السامية، والذي يذكّر الإنسان بأهوال الآخرة والتعلق بها فلا بأس به، كما جاء على لسانه: «**وأما الأشعار الوعظية المشتملة على التذكير بالله تعالى والترغيب فيما عنده، والتنفير عن الدنيا والتحضيض على التقوى فهي سليمة الجناب تصلح للعوام والعباد والزهاد.**»[1]

نستنتج ، أن الورثيلاني يعتبر السماع قضية ظاهرها فتنة وباطنها عبرة فمن عرف المغزى والمعنى حل له السماع، فهو نعمة إذا كان غرضه النصح والوعظ، ونقمة إذا كان مدعاة للفسق والفجور.

ولأن الرّحالة رجل دين من أهل التصوف فقد أباح استعمال الموسيقى والإنشاد لأهل التصوف ومنعه على غيرهم لأنه في نظره يؤدي إلى الإختلاط والفساد، فالغناء في نظره دواء لأهل العشق الصوفي، ولكنه وسيلة من وسائل الشيطان لغيرهم، وفي حديثه عن رجال ونساء أحد القرى التي زارها أنهم كانوا يجتمعون في جلسات للرقص والغناء والبكاء والصياح وذكر الشوق والعشق من غير عشق والحب وغيرها، فهم يفتعلون هذه المشاعر المزيفة.

أما المباح في نظره فهو ما كان مع أهل الحضرة الصوفية بشروطه الخالية من المحرمات لأنه دواء للمرضى وأهل الوله.

3_ الأخلاق:

إن الورثيلاني في أثناء حديثه عن الدّين فقد تحدث عن أخلاق شعوب وقبائل، استأنفها بذكر أهل عامر بأنهم لا يقفون عند الأمر والنهي ولا يخضعون لسلطة أو حكم وعدم التزامهم بالسنة والأحكام الشرعية، فهم يريدون الوصول إلى الله بالدعاوي الكاذبة والأحاديث الباطلة، فقد قال في نسائهم: «**وقد سمعنا أن بعض الفاسقات ممن يزعمن الأحوال الربانية والمواجد الإلهية، ممن استولى عليهن الشيطان...تتعرضن بنفسها للرجال وتزعم أن من لم يوافقها في غرضها الفاسد ابتلى بمصيبة.**»[2]، فهن يستدرجن الرجال بحجة الدين للوصول لأغراضهن الفاسدة.

ولأن مصر من أعظم الحضارات فقد تعاقب على حكمها من أصلح فيها ومن أفسد فقد قال الرّحالة في جنود حاكم مصر: «**يظلمون ولا ينصفون ويشربون الخمر ويجلدون الناس ويزنون... ويسرقون ويقطعون الطريق.**»[3]

وقد تحدث عن الخلافة والخلفاء في مصر «**وبُويع جعفر المهتدي بالله سنة خمس وخمسين ومائتين وقد قطع الملاهي وقطع شرب الخمر من جميع بلاده ونفى المغنيين**

---

[1] _ المصدر السابق ج1، ص235.
[2] _ المصدر السابق، ج2، ص622_623.
[3] _ المصدر السابق، ج2، ص676.

والمغنيات حتى لم يدع في أيامه منكرا ولا باطلا.»[1]

أمـــا مدينـــة تـــونس ففيهـــا من كـــانت طبـــائعهم كطبـــائع الحيوانـــات فقـــد قـــال فيهم الورثيلاني:«**نفوسهم أنتن عندهم من الجيفة بل طبائعهم طبائع البهـائم تـراهم في المزابـل والأسواق والأزقة... طبائعهم مناقضة لطبائع العقلاء.. لم يبثوا علما ولا نشروا فهمـا ولا أصلحوا فسادًا ولا جلبوا نفعا فإنهم عالة على الخلق.»**[2]

كما أشار إلى بعض السادات والآغوات الذين كانوا يحرسون الحـرم الشـريف ويسـهرون على استتباب الأمن والأمان فيـه: «**وسـاداتنا الآغـوات رضـي اللّه عنهم وجـازاهم خـيرا لا يغفلون طرفة عين عن حراسة الحرم الشريف وتـأديب من أسـاء فيـه الأدب بلغط أو رفـع صوت أو نوم.»**[3]

وتحدث الرّحالة عن مدينة قسنطينة بقوله: «**السب فيها كثير والقبح واللعنة جار في أسواقها ...لذا كثر الظلم فيها.»**[4]

ومنه فالرّحالة في أثناء رحلته وهو يجوب كل البقاع لم يكن غرضه الحج فقط أو طلب العلم والتجـوال، بـل أراد أن يغـوص في ذات الآخـر والكشـف عن مكنونـاتـه وأسـراره من عادات وتقاليد ودين وأخلاق وغيرها، والوقوف على معـالم حياتـه، وقـراءة هـذا الآخـر في مرآة الأنا.

من خلال هذه الرّحلة استطاع الرّحالة اكتشاف بعض الأحكام التي لن تكون لولا الإرتحال وهنا تتضح أهمية الرّحلة في الولوج والغوص في مكنونـات الآخـر، لأن الآخـر هـو المـرآة التي تعكس صورة الأنا «**ورؤية الأنا في الآخر، ورؤية الآخر في مرآة الأنا، ليستا خروجا على الموضوعية أو تحيّزا فالحق مقياس للحكم وكذلك الاستحسان العقلي.»**[5]

إن وصف الأنا والآخر في مرآة الحيـاة الاجتماعيـة والثقافيـة وغيرهـا، لتتضـح الصـورة المتشابهة أو المختلفة لكليهما، فأحيانا يظهر هذا التقابل بشكل جلي وواضح وأحيانا يوصـف الآخر وحده دون التطرق لصورة الأنا، ولكن يمكن رؤية هـذه الصـورة ضـمنيا عن طريـق التضاد، فالآخر هو المعلن عنه والأنا المسكوت عنه، ويبدو هذا جليا في حديث الورثلاني عن الوفد المرافق له بذكر سلوكاتهم وتصرفاتهم، فقد صرّح بالآخر وأضمر الأنا.

---

[1] _ المصدر نفسه، ج2، ص680_681.
[2] _ المصدرالسابق ، ج2، ص770.
[3] _ المصدر نفسه ، ج2، ص601.
[4] _ المصدر نفسه، ج2، ص795.
[5] _ حسن حنفي، جدل الأنا والآخر في صورة الآخر العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، بيروت، لبنان، دط، 1999، ص286.

خـــــــــــاتمة

خاتمة:

وفي الختـام، حاولنـا في هـذا البحث تقـديم قـراءة أنثروبولوجيـة للرّحلـة الورثلانيـة، الموسومة بعنوان "نزهة الأنظار في فضل علم التـاريخ والأخبـار" وتوصّـلنا لمجموعـة من النتائج أهمها

_ أنّ الرّحلة هي أصـدق الفنـون وأكثرهـا تعبـيرا عن الواقـع، لأنهـا أعطت صـورا واقعيـة لبعض مظاهر الحياة في بلدان مختلفة.

_ يعدّ أدب الرّحلة من أقدم أنواع الأدب المعروفة عنـد العـرب، فقـد اهتمت بـه، وأُلِّفَتْ فيـه المدوّنات والمخطوطات التي تحتوي العديد من الملاحظات والمشاهد والقصص التي عاشها الرّحالة.

_ كانت الرّحلة الورثلانية على قَدْرٍ من الأهمية، فقد عالج فيها صاحبها العديـد من القضـايا والموضوعات ذات الطابع الجغرافي ،التاريخي ،الديني ،السياسي وغيرها.

_ عـالجت الرّحلـة مجموعـة من الظـواهر الاجتماعيـة الـتي سـادت في بعض المنـاطق، كظاهرة قطع الميراث عن المرأة في العائلات البربرية وغيرها.

_ اختلفت عادات الزواج من منطقة لأخرى، فأهل المدينة مثلا اعتادوا أن يزفوا الزوج إلى زوجته في بيت أهلها على عكس بعض المناطق التي جرت بهـا العـادة بـزف العـروس إلى بيت زوجها.

_ تعرّضت الرّحلة لوصف عادات وتقاليد اللّباس، حيث امتاز أهل قسنطينة بارتدائهم الثياب الحسنة الرفيعة من الكتان والصوف، فقد امتاز هذا الوصـف بمسـحة دينيـة على أساسـها ذمّ الرّحالة تصرّفات بعض النسوة اللاّتي خالفن الدين وتعاليمه بتبرّجهن.

_ تضمّنت الرّحلة وصفًا لعادات وتقاليد الأكل التي اختلفت من منطقة إلى أخرى، فالمناطق الزراعية كبسكرة ، كان التمر الطبـق الرئيسـي لأهلهـا، كمـا عـرفت بعض المـدن نـوع من التَرَفِ في أطباقها، كطرابلس التي اشتهرت بإعداد أنواع مختلفة من الحلويات، وهذا النـوع من الأكل يكون أكثر انتشارا في المدن على عكس المناطق الرعوية والزراعية التي عُرفت بالبساطة، هذا يوحي إلى ظاهرة التفاوت في درجة الغنـاء والفقـر من منطقـة لأخـرى، كمـا أشار إلى أهل برقة فهم يعانون الفقر المدقع فمنهم من لم يذق الطعام مدة طويلة، ما أدى إلى انتشار بعض الآفات الاجتماعية، نتيجة الفقر كالخطفة والسرقة التي ملأت شوارع تونس.

_ تحدّث الورثيلاني عن العلوم ودرجة الاهتمام بها من بلـد لآخـر، فقـد اشـتغل أهـل مصـر بعلم المنطق وعلم السِّيَر، في حين نجد علم التاريخ لم يحض بعناية الجزائريين واهتمامهم.

_ إن اعتناق المذاهب الدينية يؤثر على نوعية العلوم، فأهـل بسـكرة مثلا انعـدم عنـدهم علم التوحيد لأنهم من أتباع المـذهب المـالكي، فهـذا الأخـير هـو أسـهل المـذاهب ولا يحتـاج إلى إعمال عقل وبحث في الغيبيات على عكس المذاهب الأخرى.

_ في الرّحلة إشارة إلى مـدى تـأثير الجـانب السياسـي والإقتصـادي على طبيعـة العلـوم في بعض المناطق، كطرابلس التي شهدت تراجعا في مختلـف العلـوم، بسـبب الحـروب وعجـز

الدولة على الإنفاق، مما جعل أهلها يتوجّهون إلى تونس ومصر لتلقي العلم.

_ تحدّث الورثيلاني عن الوازع الديني وتفاوت درجة التديّن من منطقة لأخرى، كما تضمنت الرّحلة الحديث عن فِرقٍ دينية متطرّفة كالروافض والخوارج.

_ أشار الرّحالة إلى بعض الظواهر كالظلم والفساد وهذا راجع إلى طبيعة الحكم في بعض المناطق، كالحكم العثماني في الجزائر فقد كان سببا في انتشار الظلم وقلة العلم.

_ اشتملت الرّحلة على مجموعة من الظواهر الثقافية من بينها المعتقدات التي كان موضوعها الأولياء الصالحين، وظاهرة التبرّك بالأضرحة، فقد احتفى الرّحالة بالعلماء والأولياء، حتى كلّفه الحديث عنهم عددا كبيرا من صفحات رحلته.

_ لقد كانت الرّحلة نصا ثريا، رصدنا من خلاله صورا عديدة للآخر ما بين الاستحسان والاستقباح.

_ امتازت الرّحلة من الناحية الفنية بطول العنوان، الذي يوحي بالشمولية وتعدد المضامين والموضوعات، وقد سيطر على العنوان السجع الذي أكسبه جرسا موسيقيا.

_ لاحظنا في الرّحلة، كثرة الاستطراد والاستخدام المفرط لمختلف المحسنات البديعية كالجناس والطباق والسجع وغيرها، وكثرة الاقتباسات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

_ إمتاز الرّحالة بدقة التصوير وجمال الوصف، كما سيطرت عليه النزعة الدينية فهو يفسّر ويحلّل كل الظواهر من منظور ديني، وهذا ما عكس الخلفية الدينية للرّحالة.

وفي الختام، نرجو أن نكون قد وُفِّقْنا في هذا البحث ولو بالقدر القليل، متمنين من الله عز وجل السداد والتوفيق.

ملـــــــــــــــــــحق

التعريف بالرّحالة ورحلته:

وُلد الحسين بن محمد السعيد في بني ورثيلان، ومن ثمة نسبته الورثيلاني، سنة " 1125ه_1713م."[1]

نشأ الورثيلاني في أسرة عربية شريفة، كان طالب علم ومعرفة، تعلّم الفقه والنحو والتصوّف والتوحيد وغيرها من العلوم، اقتداءً بأبيه وجدّه اللّذان كانا على دراية وتمرّس بالعلوم الشرعية ولم يكتف الرّحالة بهذه العلوم فحسب، بل كان ملّما بالأدب والتاريخ والتأليف، وعُرف بعدله وصلحه، فقد كان له الدور البارز في الصلح بين القبائل، وهذا عن طريق رحلاته الكثيرة داخل الوطن وخارجه.

حفظ الورثيلاني القرآن الكريم في سن مبكّرة، و«**أصبح من علماء المنطقة المعروفين**»[2] فقد كان يتّجه إلى بجاية وغيرها لتلقين الدروس، حتى تخرّج على يده ثلة من التلاميذ الذين نهجوا منهجه وسلكوا سبيله.

أَلَّف الرحالة عدة تصانيف معظمها في الفقه والتصوّف والتوحيد، ولعلّ أبرز عمل له هو الرّحلة التي بين أيدينا، حيث عُدّت: «**أنفس تصنيف، وأعرق تأليف، لاشتماله على عوارف المعارف، وظرائف الطرائف، وفرائد الفوائد**»[3]، حيث يقول في وصف رحلته: «**أنشأت رحلةً عظيمة يستعظمها البادي، ويستحسنها الشادي، فإنّها تزهو بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار**»[4]، فهي تعتبر موسوعة تُعرّف بجزء كبير من العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر ميلادي، فقد عُدّت «**أعظم رحلة جزائرية اعتنت بتسجيل الأخبار الجغرافية، التاريخية والدينية وهذا ما عبّر عنه مضمون عنوانها الموسوم بـ: "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"**»[5]، فقد أظهر من خلالها مدى وعيه بمشكلة نقص التأليف في الجزائر، وكذلك قلة الإهتمام بعلم التاريخ الذي اعتبره الرّحالة علما جليلا بالغ الأهمية.

لقد مكّنته هذه الأسفار والرّحلات من لقاء الناس على مختلف مستوياتهم العلمية والعقلية ومكانتهم الاجتماعية، فأكسبته خبرة واسعة بنفسية الأفراد والجماعات، وهي من أهم شروط النجاح في التعامل مع الآخر.

كان الورثيلاني على علم برحلات السابقين، مطّلعا عليها من خلال اعتماده على بعض

---

[1] _ سميرة أنساعد، الرّحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص67.
[2] _ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص394.
[3] _ الورثيلاني، الرّحلة الورثيلانية، ج1، ص3.
[4] _ المصدر نفسه، ج1، ص12_13.
[5] _ سميرة أنساعد، الرّحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص68.

الرّحلات منها: «**رحلة أبي سالم العياشي "ماء الموائد"، رحلة أحمد بن ناصر الدرعي "الرّحلة الناصري"، ورحلة أبي سالم العياشي "ماء الموائد".**»[1]

لقد دامت الرّحلة حوالي ستة أشهر في الذهاب وسنة في العودة، فقد أرادها وثيقة إخبارية للخلق عن تجربة الرّحلة بما تحمله من معاني إيمانية عظيمة وتجربة روحية عميقة.

[1] _ المرجع السابق، ص69.

ثالثا_حوصلة عن الرّحلة:

تعدّ الرّحلة الورثلانية أهم المصادر التي تضاف إلى مؤلّفات الرّحالة المغاربة، ومن أبرز الرّحلات التي شهدتها الفترة العثمانية خلال القرن الثامن عشر، فقد ضمّنها صاحبها ما عاشه وما شاهده في كل مكان منذ أول يوم عزم فيه القيام بهذه الرّحلة، إلى غاية عام 1182 سنة الشروع في إملاء ما جمعه في أوراقه الكثيرة، فقد جمعت بين التحصيل العلمي ومقاصد الحج.

مؤلّف هذه الرّحلة هو العالم شيخ مشايخ الإسلام، الورع الزاهد، الصالح العابد المتبع لأثر النبي صلى الله عليه وسلّم، علَمٌ من أعلام الجزائر، من مشايخ الصوفية في القرن الثامن عشر، سيدي الحسين الورثلاني، له تصانيف عدة، لكن أشهرها هذه الرّحلة التي بين أيدينا كانت بعنوان: **"نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"**، تناولت عدة جوانب كالمعارف السائدة في تلك الفترة من تاريخ وأدب وفقه وغيرها، إضافة إلى الطرائف والعجائب والمخاطر التي رافقته من موطنه إلى بيت الله الحرام.

لقد أفصح الورثلاني في مقدّمة رحلته أنه كان «**ينوي كتابة رحلة عظيمة تكون مفخرة له ولبلاده، ولكن سرعان ما ظهر عليه الفتور، وأكثر من النقل والإستطراد، وتداخلت معلوماته**»[1]، والملاحظ على هذه الرّحلة أنها تحتوي الكثير من الأخطاء، لأنه كان يأخذ أثناء الإستراحة بعض الملاحظات ويدوّنها على عجل حتى لا تفلت منه المعلومات، وعند العودة إلى وطنه شرع في تدوين الرّحلة وإملائها على تلاميذه، ولم يراجع ما أملاه.

ضمّن الورثلاني رحلته المشهورة قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ولأنه رجل دين فقد زخرت رحلته بكثير من الإقتباسات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

كُتِبت هذه الرّحلة بلغة راقية، تميّز أسلوبها بالبيان الواضح والأدب الرفيع، كما تميّز بجمال الوصف ودقة التصوير، فقد تنوّع أسلوب الرّحلة بين الوصف والسرد، لأنهما نمطان يتناوبان على طول الخطاب الرّحلي، فهو يسرد حين يتحدّث عن المتحرّك، ويصف عندما يتحدّث عن الساكن.

وفي أثناء دراستنا لهذه الرّحلة اتضح أنها لا تخلو من بعض الصعوبات اللّغوية، ولأنها دُوّنت بطريقة الإملاء فقد غلب عليها الإسترسال الطويل، وعدم وجود الفواصل والنقاط أثناء القراءة، وكذلك تداخل الرّحلة ونصوص الرّحلات السابقة حتى تعذّر على القارئ في بعض الأحيان الفصل بين نصوص الورثلاني والنصوص الأخرى.

وأخيرا نستخلص مما سبق، أنّ هذه الرّحلة كانت على قدر من الأهميّة، من الناحية التاريخية ،الاجتماعية ،الأنثروبولوجية ،الدينية وغيرها، من خلال توظيفه للمعارف السائدة

[1] _ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص396.

في تلك الفترة من أدب وفقه، ونقد لأحوال البلاد والعباد والعادات والمآثر التراثية وغيرها وعلى الرغم من الصعوبات التي احتوتها الرّحلة فهي موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم الإسلامي، فهي من المراجع التي لا غنى عنها.

قـــائمة المصادر والمـــراجع

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم، بالرسم العثماني، برواية ورش لقراءة الإمام نافع طريق أبي يعقوب الأزرق القدس للنشر والتوزيع.

المصادر:

1- _ الورثيلاني الحسين بن محمد السعيد، الرحلة الورثلانية نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشؤون الفنية القاهرة، مصر، ط1، 2008.

المراجع:

1- أحمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 1986.
2- أبو بكر باقادر، حسن رشيق، الأنثروبولوجيا في الوطن العربي، دار الفكر، دمشق سوريا، ط1، 2012.
3- حسن حنفي، جدل الأنا والآخر في صورة الآخر العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية الجمعية العربية لعلم الاجتماع، بيروت، لبنان، دط، 1999.
4- حسني محمود حسين، أدب الرّحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط2، 1983.
5- حسين فهيم، قصّة الأنثروبولوجيا، فصول في علم الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت دط، 1986.
6- حسين نصّار، أدب الرّحلة، دار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1991.
7- ربيع كردي، البنائية الجديدة في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010.
8- رحال بوبريك، مدخل إلى الأنثروبولوجيا، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، د ط، 2004
9- سميرة أنساعد، الرحلة إلى الشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية دار الهدى، الجزائر، د ط، 2009.
10- شعيب حليفي،الرّحلة في الأدب العربي (التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيّل) رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006.
11- _ شوقي ضيف، الرّحلات، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، 1119.
12- أبو عبد الله ابن محمد اللّواتي ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان،ط1 1987.

13- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدّمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان دط، 2004.
14- _علاء جواد كاظم، الصورة حكاية أنثروبولوجية، معاينات مونوغرافية في "الأنثروبولوجيا المدنية"، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
15- علي زيعور، الكرامة الصوفية والأسطورة والعلم، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان ط2، 2003.
16- عياد أبلال، أنثروبولوجيا الأدب، دراسة أنثروبولوجية للسرد العربي، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2011.
17- عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد العرب دمشق، سوريا، دط، 2004.
18- _ فؤاد قنديل، أدب الرّحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة مصرط2، 2002.
19- _ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ل
20- بنان1500_1830.
21- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 1830
22- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج10، دار البصائر، الجزائر، د ط، 2007.
23- أبو القاسم سعد الله، رحلة الأغواطي ابن الدين في شمال إفريقيا والسودان والدرعية، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2011.
24- كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والإقتصادية والدينية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مكتبة الإسكندرية ،القاهرة مصر، دط، 1996.
25- محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس هجري، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، دط، 1993.
26- محمد الجوهري، علياء شكري، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا،روافد للنشر والتوزيع القاهرة، مصر، د ط، 2007.
27- مصطفى تيلون، مدخل عام في الأنثروبولوجيا، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط 1 2011.
28- ناصر عبد الرزاق الموافي، الرّحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء للطباعة والتوزيع، القاهرة، مصر،

ط1، 1995.
29- نوال عبد الرحمن شوابكة، أدب الرّحلات الأندلسية والمغربية حتى القرن التاسع هجري دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008.

المراجع المترجمة:

1- بيرتي ج بيلتو دراسة الأنثروبولوجيا المفهوم والتاريخ، تر: كاظم سعد الدين، بيت الحكمة، بغداد، ط1، 2010.
2- توماس هيلاند اريكسن وفين سيفرت نيلسن، تاريخ الأنثروبولوجيا، تر: عبده الريس لمركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2014.
3- كلود رفيير، الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان، تر: أسامة نبيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2015.
4- كلود ليفي ستراوس، الأنثروبولوجيا البنوية، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، د ط، 1977.
5- مارك أوجيه جان، وبول كولاين، الأنثروبولوجيا، تر: جورج كنوزة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

المعاجم:

1- إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات وآخرون، الوسيط ،ج1، دار الدعوة ،القاهرة ،مصر دط ،1972.
2- شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا (إنجليزي عربي)، جامعة الكويت، ط1 1981.
3- مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان ط2، 1980
4- ابن منظور، لسان العرب، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة الأساتذة المختصين، دار الحديث، القاهرة، مصر، د ط، 2003، مادة (ر ح ل).

الرسائل الجامعية:

1- عبد الجليل شقرون، نخلة اللبيب بأخبار الرّحلة إلى الحبيب لابن عمار أبي العباس سيدي أحمد، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تلمسان الجزائر، 2017.
2- ياسمينة شرابي، الموروث الثقافي في أدب الرّحلة الجزائري "نماذج رحلات القرن العشرين"، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة أكلي محمد أولحاج، البويرة، 2012_2013.

المجلات:

1- سندس محمد عباس، أنثروبولوجيا الأدب، دراسة لقصة (أنا الذي أرى...وثائق) للقاص محسن الرملي، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، العراق، عدد1جانفي

.2016

المواقع الالكترونية:

1- محاضرات في انثروبولوجيا التربية/
.http//kenanaonline.com/files/0070/7005

فـــــهرس المـــوضوعـــــات

فهرس الموضوعات:

مقدمة.....: أ_ ج.

مدخل: مفاهيم نظرية في الأنثروبولوجيا.....؛ 5_ 10.
أولا_ مفهوم الأنثروبولوجيا.....؛ 05.
ثانيا_ فروع الأنثروبولوجيا.....: 08_ 10.
أ- الأنثروبولوجيا العضوية أو الفيزيقية.....؛ 08.
ب_ الأنثروبولوجيا الثقافية.....: 08.
ج_ الأنثروبولوجيا الاجتماعية.....: 09.
ثالثا_ نشأة الأنثروبولوجيا.....: 11_ 14.
رابعا_ علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب.....: 15_ 17.
الفصل الأول: الرّحلة في الأدب الجزائري.....؛ 19_ 34.
أولا_ حول مفهوم الرّحلة.....؛ 19_ 23.
أ_ التعريف اللغوي.....؛ 19.
ب_ الرّحلة في القرآن الكريم.....؛ 20.
ج_ الرّحلة اصطلاحا.....؛ 21.
ثانيا_ أنواع الرّحلات.....: 23_ 27.
أ_ الرّحلة العلمية.....: 23.
ب_ الرّحلة الدينية.....؛ 24.
ج_ الرّحلة الإقتصادية.....؛ 25.
د_ الرّحلة الرسمية.....؛ 26.
ثالثـــا_ أدب الـــرّحلات.....: 28_ 29.
رابعا: الرّحلة في الأدب العربي.....؛ 30_ 32.
خامسا_ الرّحلة في الأدب الجزائري.....؛ 33_ 34.
الفصل الثاني: المضامين الثقافية والاجتماعية في الرّحلة الورثلانية....؛ 36_ 37.
أولا_ المضامين الاجتماعية.....؛ 36_ 58.
1_ العادات والتقاليد.....؛ 36.
أ_ عادات وتقاليد الزواج.....؛ 39.
ب_ عادات وتقاليد اللّباس.....: 40.
ج_ عادات وتقاليد الأكل.....؛ 41.
2_ الزراعة.....؛ 43.
3_ التجارة.....؛46 .

4_ الصناعة.....: 48.
5_ البناء.....؛ 49.
6_ العلوم والآداب.....: 52.
7_ الحكم والسلطة.....: 57.
ثانيا_ المضامين الأنثروبولوجية الثقافية.....: 59_ 69.
1_ المعتقدات.....؛ 59.
أ_ الاعتقاد ببركة الأولياء الصالحين وكراماتهم.....: 59.
2_ الدين.....: 64.
3_ الأخلاق.....؛ 68.
ثالثا_حوصلة عن الرحلة.....:
خاتمـــة.....؛ 71_ 73.
ملحـــق.....: 75_ 78.
قائمة المصادر والمراجع.....؛ 80.
فهـــرس المحتـــوي.....؛ 86_ 87.

ملخّص:

لقد كانت دراستنا بعنوان **"نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار للورثيلاني قراءة أنثروبولوجية"**، تهدف إلى الكشف عن أهم ما تضمّنته هذه المدوّنة، من تصوير لحال البلاد والعباد في العالم الإسلامي، وقد اتّضح أن هذه الرّحلة قد تشعّبت فيها مواضيع عدّة منها الدّين، الإجتماع، الجغرافيا، التاريخ، السياسة، الإقتصاد، وغيرها وقد اشتملت على مضامين اجتماعية وثقافية تباينت واختلفت من منطقة لأخرى حسب طبيعة كل منطقة فقد اعتبرت وثيقة تاريخية للخلف لما تحتويه من معاني إيمانية عظيمة وتجربة روحية عميقة.

Résumé:

Notre étude, intitulée "Jeter un regard sur les vertus de l'histoire et l'actualité du Coran, était une lecture anthropologique". L'objectif de cette étude est de révéler les aspects les plus importants de ce blog, à partir du portrait de la situation du pays et des hommes dans le monde islamique. La géographie, l'histoire, la politique, l'économie, etc., qui incluaient des contenus sociaux et culturels différents et différaient d'une région à l'autre en fonction de la nature de chaque région, étaient considérés comme un document historique pour le retour de sa grande foi et de son expérience spirituelle.

Abstract:

Our study, entitled "Taking a look at the virtue of history and the news of the Koran, was an anthropological reading." The aim of this study is to reveal the most important aspects of this blog, from the portrayal of the situation of the country and the people in the Islamic world. Geography, history, politics, economy, etc., which included different social and cultural contents and differed from region to region according to the nature of each region. It was considered a historic document for the return of its great faith and spiritual experience.